الفلسفة اللغوية

والالفاظ العربية

تتضمن الادلة اللغوية التحليلية على ان اللغة العربية مؤلفة
في الاصل من أصول قليلة ثنائية آحادية المقطع
معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات
الخارجية والاصوات الطبيعية
التي ينطق بها الانسان
غريزياً

لمؤلفها

جرجي زيدان

منشىء الهلال

الطبعة الثالثة

مطبعة الهلال بشارع نوبار باشا نمرة ٤ بمصر
سنة ١٩٢٣

مقدمة الطبعة الاولى

باسم الله مفرّق اللغات

هذه عجالة أرفعها الى أهل النظر والتحقيق لينظروا فيها فان أعجبهم مثالها تقدمتُ اليهم ان يزيدونا من مثلها مما تعم به الفائدة وتشحذ له الاذهان فاني عالم ان الموضوع رحبٌ لا يتكفل باستيفائه الا المجلدات الضخمة وأعلم أيضاً ان في السويداء رجالاً لهم من العلم وسعة الاطلاع في اللغة وغيرها مما يؤهلهم لبسط الكلام في هذا الموضوع باكثر مما بسطتُ والابضاع فيه باكثر مما أبضعت وربما كان ما استوقفهم الى الان عن البحث من هاته الوجهة التي بحثت فيها ليس الا خوف ان لا يجدوا من القراء من يقـدّر لهم موضوع ابحاثهم حق قدره ويقبل عليه بما هو اهل له من الامعان والتروي . وربما كان لخوفهم هذا مسوغ يقضي عليهم معه بالتوقف اذا نظروا الى عائدته المادية ازاء ما يضحون من الوقت اثناء الكتابة والتأليف . الا ان أمثال هؤلاء الافاضل قد لا يعبأون بما يعود عليهم من الفوائد المالية وذلك حباً بالعلم وتنويراً للاذهان ويجتزئون من كل ذلك بما يكون من الفائدة الادبية لعموم افراد الهيئة التي هم بينها وهم في الغالب يدركون كلا الغايتين ولا تفوتهم احدى الفائدتين اذا مرّ عليهم من الزمن ما تتنبه لهم في أثنائه اذهان القراء من مواطنيهم او خلافهم . وعليه أعود فاتقدم اليهم ان يزيدونا في هذا الموضوع زادهم الحق علماً وخيراً وان يؤاخذوني بما وقع مني من الخطأ فيصلحوه وينتقدوا عليّ حيث يجدون محلاً للانتقاد حباً ببيان الحقيقة واكون لهم من الشاكرين ولا يزعم بي اني أقول ما اقول ايهاماً وتمويهاً فمعاذ الله الا ان أشكر لاهل

فضل وعلم همهم كشف الحقائق واجلاؤها حق الجلاء من أين أتت . وأحسب لهم عليَّ في ذلك منةً يكاد لا يستطاع ايفاؤها لاني عالم بقصور باعي وامكان تطرق الخطأ والخلل الى ما كتبت او ذهبت اليه وان كنت لا أرى محل ذلك الان . هذا ولا أنكر اني كتبت ما كتبت على غاية من السرعة فلم أتمكن من الوقت الكافي لمزيد النظر والتأمل في مراجعة ما كتبت وتصفيته من شوائب الغفلة والنقصان فربما غفلت في مواضعٍ عن ذكر ما كان يهم او يجب ذكره وذكرت في أخرى ما كان جديراً ان لا يذكر او لا دخل له بالموضوع . واكثر من ذلك أني تارك الكتاب وهو لم ينجز عن آخره ووكلت الى أحد الخلان مراقبة نجاز الطبع الاخير والتجليد والتوزيع وكل ذلك لما تدعوني اليه الدواعي من مزيد السرعة (لاني على شفا رحلة بعيدة الشقة) وفي جميع هذا ما يوجب لي بعض العذر لدى أهل الفضل المحققين الذين رغبت اليهم في المؤاخذة والانتقاد تجلية للحقيقة وتمحيصاً لها

وهنا اسأل فضل القراء ان يرمقوا سطيراتي هذه بعين القبول ويوجهوا اليها وجه المقبل ـ لا أقول ذلك حباً برواج البضاعة غاية الربح انما حباً مني باطلاعهم على هذه الملاحظات فينظروا لمأخذي الذي أخذت به في اللغة فاعلم ان كنت أصبت أم أخطأت او كان كلا الاصابة والخطأ معاً مع بيان مواقع كل منهما وأتوسل الى الحق ان ترجح مواقع الاصابة على مواقع الخطأ وان يفيد الكتاب بعض الافادة أقله في توجيه الانظار الى هذه المباحث من الجهة التي أخذت بها وهو حسبي واليه أنيب

بيروت في ١٥ يوليو سنة ١٨٨٦

مقدمة الطبعة الثانية

سنة ١٩٠٤

لم يخطر لنا يوم نشرنا الطبعة الاولى من هذا الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٦ انه سيأتي يوم نعيد طبعه فيه لان موضوعه فلسفيٌّ جديد لا يرتاح اليه الا فئة قليلة من خاصة الادباء وذوي الاطلاع ممن يلتذون بالابحاث العقلية الفلسفية وهم قليلون في كل زمان ومكان وخصوصاً في بلادنا لقرب عهدنا من العلم والادب فكيف بالابحاث الفلسفية اللغوية وهي جديدة حتى في لغات الافرنج ـ فنفاد الطبعة الاولى من هذا الكتاب يدل على تكاثر الخاصة من أهل هذا اللسان. أما ادباء الالسنة الاخرى فانهم أحلوا هذا الكتاب محل القبول منذ أول ظهوره وكنا قد بعثنا منه أمثلة الى بعض جمعيات المستشرقين في اوربا فجاءتنا كتبهم وملؤها التنشيط والاستحسان وانتخبتنا « الجمعية الاسيوية الايطالية » يومئذ (سنة ١٨٨٧) عضواً عاملاً فيها من أجل هذا الكتاب ـ اذ لم يكن لنا مؤلف سواه ـ وعنيت مجلة « مكتب » العلمية التي تصدر في الاستانة بنقله الى اللغة التركية ونشرته تباعاً في اعدادها لسنة ١٨٩٣ وما بعدها على ان تنشره بعد ذلك في كتاب على حدة

وموضوع هذا الكتاب البحث التحليلي في كيف نشأت اللغة العربية وتكونت باعتبار انها اكتسابية خاضعة لناموس الارتقاء العام . ومدار البحث على خمس قضايا ونتيجة وهي :

القضية الاولى : ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى هي تنوعات لفظ واحد

القضية الثانية : ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها (كحروف الجر والعطف وأحرف الزيادة ونحوها) انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها

القضية الثالثة : ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى أصول ثنائية آحادية المقطع تحاكي أصواتاً طبيعية

القضية الرابعة : ان جميع الالفاظ المطلقة كالضمائر وأسماء الاشارة ونحوها قابلة للرد بالاستقراء الى لفظ واحد او بضعة الفاظ

القضية الخامسة : ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية

النتيجة : ان لغتنا مؤلفة أصلاً من اصول قليلة آحادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية و بعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً

والكلام في ذلك كله مؤيد بالنواميس الطبيعية ومسند الى عوامل لا تزال عاملة في لغتنا الى هذا اليوم

وقد أدخلنا في هذه الطبعة تحسينات ذات بال خطرت لنا بعد ظهور الطبعة الاولى . وأضفنا اليها فصولاً كاملة في أصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها وأصل الخطوط المعروفة الان في أقطار العالم المتمدن وفصلاً في كيف تعلم الانسان العدّ وكيف توصل الى اختراع الارقام وأصل الارقام الهندية وكيف تنوقلت في العالم

والبحث في فلسفة اللغة لا يزال جديداً عندنا يحتاج الى تمحيص وانتقاد فنتقدم الى أرباب الاقلام ان ينتقدوه ونستلفت انتباه أئمة اللغة الى النظر فيه والتوسع في موضوعه للانتفاع بنتائج أبحاثهم وثمار قرائحهم

وسنشفع هذا الكتاب بكتاب آخر في تاريخ اللغة العربية باعتبار انها كائن

حي نام خاضع لناموس الارتقاء العام نقصر الكلام فيه على ما لحق اللغة من التنوع والتفرع والنمو والارتقاء في الفاظها وتراكيبها بعد ان تم تكونها وصارت ذات قواعد وروابط . ينطوي تحت ذلك النظر في ما دخل هذه اللغة من الالفاظ الاعجمية والتراكيب الغريبة على اختلاف العصور من الجاهلي فالاسلامي الى هذا اليوم ونأتي بأمثلة مما دخلها او تولد فيها من الالفاظ الادارية والعلمية والفلسفية الطبية والدينية واللغوية على اختلاف أدوارها . والله المستعان ان يجعل أقوالنا أقرب الى جانب الاصابة وهو حسبنا

وطبعت ثالثة سنة ١٩٢٣

اللغة

اللغة أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم وقد تعدَّدت أنواع الاصوات وطرق التعبير بتعدُّد الامم واختلاف أصواتها فنشأ عن ذلك لغاتٌ تفوق الآلاف عدًّا متفاوتةً بيانًا ومتباينةً دلالة ولفظًا فان من الاصوات ما هو عاديٌّ عند هذه الامة وشاقٌ التلفظ به عند تلك مما يلاحظهُ كلٌّ منا في من حاول دراسة اللغة العربية من أبناء المغرب فقد قلَّ بينهم من استطاع بعد العناية الشديدة لفظ الحاء او العين او الغين او الضاد او ما شاكل وكثيراً ما يعاني أحدنا في لفظ Γ او X اليونانيين او V او P الرومانيين . ومن القبائل القاطنة اواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية « ف ب م و . . . » في لغتهم . وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع « ب ف ج د ب و » واكثر أهالي اوستراليا لا يستعملون المقاطع الصفيرية « س ز ش ث ص ظ » والنيوزيلانديون في غنى عن جميع هذه الحروف « ب س د ف ح ج ل ق ص و ي » واللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » خاليةٌ من هذه المقاطع « ب ج د ز ظ ض » وجملة القول ان هذه الاختلافات آثارٌ تشير الى ما هي عليهِ اللغة من التعرُّض للمؤثرات الخارجية التي طالما غيرت ولم تزل تغير في سائر أحوالنا عملاً بناموس الارتقاء العام . وهذا التباين اللفظي يشاهد

بين أفراد الامة الواحدة المتكلمين بلغة واحدة لعلة طبيعية في أعضاء النطق

فيظهر مما تقدم ان الاحرف « ت م ن ه » مما يسهل لفظه على كل ناطق بدليل وجودها في جميع اللغات على اختلاف انواعها (الا الهاء في اليونانية). على ان النظر في طريقة التلفظ بها يبين كونها طبيعية فان الهاء لا تكلف في لفظها مطلقاً لانها تحدث بواسطة الزفير الاعتيادي والفم مفتوح. والتاء بايقاف الزفير بالصاق اللسان بما وراء القواطع. أما الميم فبإخراج الصوت من الانف والفم مجوف والشفتان مطبقتان. والنون تلفظ كالميم بإلصاق اللسان بسقف الحلق وفتح الفم

أما التفاوت الحاصل في دلالة هذه الاصوات ومركباتها فقد نشأ عنه تكاثر اللغات وتعدُّد اللهجات فحسبوا منها آلافاً ولم ينتهوا الى جميعها غير ان فيلولوجيّ هذا العصر قسموها باعتبار درجات تهذيبها الى « مرتقية » و « غير مرتقية » وهذه الاخيرة تتضمن ادنى اللغات بياناً وأبسطها ألفاظاً منها اللغات الزنجية التي يتفاهم بها قاطنو جنوبي افريقيا. والاميركانية التي يتكلم بها هنود اميركا. والشمالية الشرقية الاسيوية وهي لغات القاطنين في جزيرة سغالين وشبه جزيرة كمشتكا وما جاورهما. والصينية وهي لغات الصين ومن أهمّ صفاتها ان ألفاظها أحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف. فاللفظة الواحدة تكون فعلاً او اسماً او نعتاً باضافة ألفاظ أخرى ذات معان مستقلة اليها. والحامية ومنها المصرية القديمة والحبشية

القديمة والبربرية . وقد عدّ بعض اللغويين المصرية من اللغات الشرقية لانها تقرب منها في بعض احوالها وقال آخرون لا بل هي أمها وقد دُعيت بالحامية لاعتقادهم ان المتكلمين بها من نسل حام بن نوح

أما المرتقية فتمتاز بسعة نطاقها واحتوائها على اكثر ما يحتاج اليه الانسان من انواع التعبير ومنها لغات العالم المتمدن وتُقسم باعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق الى « متصرّفة » و « غير متصرفة » وهذه الاخيرة تشتمل على اللغات الطورانية ومنها الفروعُ التركية ويتفاهم بها القاطنون بين آخر حدود النمسا الشرقية واسيا الصغرى فالتتر الى ما وراء أواسط آسيا وشمالاً الى الحدود الشمالية لسبيريا . ومنها أيضاً اللغات المنغولية والتنقاسية والاوغرانية

ومن أهمّ صفات اللغات المرتقية « غير المتصرّفة » انها مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل التغيير في بنائها مطلقاً وان الاشتقاق يقوم فيها بالحاق أدوات لا معنى لها في نفسها في آخر تلك الاصول وهذه تبقى بدون تغيير . مثال ذلك لنا في التركية « ياز » وهو الاصلُ الدالّ على الكتابة فيصيغون منه فعلاً ماضياً بالحاق « دي » في آخرهِ فيقولون « يازْدي » كتبَ ثم اذا أرادوا الماضي السابق يضيفون « دي » أخرى فيقولون « يازْدِيدِي » أي كان قد كتب . واذا أرادوا الجمع أضافوا أداتهُ « لرْ » فقالوا « يازْديديلرْ » كانوا قد كتبوا ثم اذا أرادوا النفيَ أدخلوا أداتهُ بين الاصل وما أضيف اليهِ فقالوا « يازْمَدِيدِيلرْ » أي ما كانوا قد كتبوا . وهكذا بين طلبٍ وتمنّ

واستفهامٍ بحيث تبلغ هذه الالحاقات العشرة عدًّا مع بقاء الاصل الفعلي على بنائه في اول اللفظ

واللغات المتصرفة تمتاز بقبول أصولها التصريف الحاقاً وادراجاً وتقسم الى طائفتين عظيمتين :

(١) الطائفة الارية : او الهندية الاوربية وتدعى أيضاً « اليافثية » نسبة الى يافث بن نوح وتنقسم الى « جنوبية » وهي لغات جنوبي آسيا منها السنسكريتية وفروعها الهندية . والفارسية والافغانية والكردية والبخارية والارمنية والاوستية . و « شمالية » ومنها لغات اوربا وتقسم هذه الى قلتية ومنها اللغات المستعملة في جزائر بريطانيا الا انكلترّا . وايطالية ومنها اللاتينية وفروعها لغات فرنسا وايطاليا واسبانيا والبورتغال . وهيلينية ومنها اليونانيّ القديم والحديث . وونديِة ومنها لغات روسيا وبلغاريا وبوهيميا . وتيوتونية وتتضمن لغات انكلترا وجرمانيا وهولندا والدنمارك وايسلاندا

ومن الصفات المميزة للطائفة الآرية انها مؤلفة من أصول قابلة التصريف ادراجاً وان الاشتقاق فيها يقوم باضافة أدوات معظمها ذات معنى في نفسها وهذه الادوات تلحق غالباً في آخر الاصل وأحياناً في أوله مثال ذلك في الانكليزية « thank » شكرٌ منها « thankful » متشكر او شكور او كثير الشكر ثم « unthankful » غير متشكر او غير شاكر ثم « unthankfulness » عدم تشكر او عدم شكر . ومثلها « capable » كافٍ او قادر و « incapable » غير كافٍ

او غير قادر « incapability » عدم كفاءة . وهكذا في سائر التصاريف وعليه تجري سائر اللغات الآرية

(٢) الطائفة السامية : نسبةً الى سام بن نوح واشارة الى كون القسم الاعظم من المتكلمين بها هم من نسله وتتضمن ما يسمى أحياناً باللغات الشرقية . وهي بوجود اللغة العربية بينها تُعدّ من أرقى اللغات بياناً وأوسعها نطاقاً وأغناها الفاظاً وأدقها تعبيراً وتمتاز بكونها الحافظة لاقدم التواريخ أعني التوراة مكتوبةً بالعبرانية . ومن المعلوم ان التمدُّن نشأ اولاً بين المتكلمين بها كالبابليين والاشوريين والفينيقيين وغيرهم . وهي تقسم الى ثلاثة اقسام

﴿ الاول ﴾ الآرامية : وفرعاها السريانية والكدانية . فالآرامية هي لغة بابل القديمة الباقية آثارها مكتوبة نقشاً على بقايا بابل واشور بالاحرف الاسفينية والانبارية . والكلدانية هي هذه بعد ان لعبت بها ايدي الزمن فغيرت بعض ألفاظها . وقد كتب بها بعض اسفار العهد القديم كسفر دانيال وغيره وقد دُعيت هناك بالآرامية تساهلاً على ما أرى لان بينها وبين الارامية الاصلية فرقاً واضحاً لفظاً ومعنًى . ولغة اشور أبعد عن هذه من لغة بابل . أما ما يُدعى بين السريانيين في هذه الايام باللغة الكلدانية ليس الا السريانية نفسها مع بعض التغيير في الحركات . والسريانية هي الكلدانية المشار اليها مع تغيير في الفاظها ودلالتها تبعاً لما اقتضته الاحوال فكأن اللغة البابلية القديمة دُعيت في اول امرها آرامية ثم تغيرت قليلاً فدُعيت كلدانية

ثم وقع فيها تغيير آخر فدُعيت سريانية وحصل في هذه بعض التنوع في حركاتها فحسبت لغتين سريانية غربية وسريانية شرقية

وقد حفظت اللغة الآراميـة الاصلية بعض التواريخ القديمة منقوشةً على بقايا بابل واشور . والسريانية حفظت الكتاب المقدس الذي تُرجم اليهـا في الجيل الثاني بعد المسيح وتعرف هـذه الترجمة بالترجمة البسيطة

﴿ الثاني ﴾ العبرانية : قد امتازت هذه بحفظها التاريخ القديم كما سبقت الاشارة وبكون الناطقين بهـا هم أوضح الامم منشأً . واللغة التي يتكلم بهـا الاسرائيليون اليوم ليست العبرانية صرفاً بل خالطها بعض الالفاظ الآرامية او الكلدانية اثناء أسرهم عند البابليين . ومحورُ جميع ما ألف في هذه اللغة انما هو العهد القديم ويتفرَّع عنها الفينيقية والقرطجنية وكلتاهما مائتتان

﴿ الثالث ﴾ العربية : وهي اسمى اللغات السامية ومعرفتهـا ضرورية لاتقان اخواتها . وقد كانت محصورةً في شبه جزيرة العرب فلما ظهر الاسلام اخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين بسبب الفتوح الاسلاميـة المشهورة فامتـدت من الشرق الى الغرب بين اواسط الهند وبوغاز جبل طارق ومن الشمال الى الجنوب بين البحر الاسود وبحر العرب . وبالجملة يقال انهـا عمت معظم العالم المتمدّن في ذلك الحين . والحروف العربية المستعملة عنـد الاعاجم منهم كالترك والفرس والهنود وغيرهم من جملة الآثار الشاهدة على ذلك . ويتفرع

من العربية لغة الحبشة وفروع أخرى تُعدّ مائتة — ولا يخفى ان لغتنا لولا القرآن لتعددت فروعها قياساً على سواها

أما أصل كلمة « عرب » ففيه اقوالٌ منها انها « عبر » بعد القلب وقال آخرون بل هي مأخوذة من « عرَبَ » أي فصح اعتماداً على ان العربية من أفصح اللغات وزعماً من سلفائنا بأن الذين لا يتكلمون بها عجمٌ . وقد ذهب بعضهم الى انها مأخوذة من لفظة « يَعرب » التي هي اسم لاول من نطق بالعربية على ما يزعمون . ومن رأي أستاذنا المرحوم الدكتور ڤانديك من هذا القبيل قوله :

« بينما كان الساميون ساكنين في الاراضي السهلة المخصبة »
« حول رأس خليج العرب وفي ما سُمي بعد حين العراق العربي »
« اتاهم قوم كوشيون عن طريق مهرا وحضرموت والحسا فطرد »
« الكوشيون الساميين فنزح بعضهم نحو عيلام أي بلاد فارس »
« وقوم صعدوا شمالاً على شطوط الفرات وهم التارحيون اسلاف »
« ابراهيم وقوم ذهبوا غرباً نحو ما سُمي بعد حين جزيرة العرب »
« وسموا عرباً من ערב « عِرِب » أي أرض الظلام أو الغروب »
« والعبرانيون لا يميزون بالصورة بين العين والغين ومن هذه اللفظة »
« أيضاً اوروپا ערובת عروپا (اوروپا) انظر مصنفات رولنسن »
« وماكس مولز وقاموس فورست ومنهم من قال بل التسمية من »
« « عرب » في العبرانية خلط ومزج لكونهم شعباً مخلوطاً ممزوجاً »
« من نسل قحطان واسمعيل ومديان ومواب وعمون وعملاق وربما »

« اختلطوا بالكوشيين في الجنوب والله أعلم »

وأوضحُ صفات اللغات السامية انها مؤلفة من أصولٍ ثلاثية الاحرف ثابتة في الاشتقاق أي انه لا يؤثر على أحرفها بل هو يقوم فيها بتغيير الحركات التي يتوقف عليها نوع الدلالة مثاله في العربية « قتل » وهو أصل يتضمن معنى القتل فبتغيير الحركات فيه تشتق عدَّة افعال او اسماء او نعوت تبعاً لنوع ذلك التغيير فمنه « قَتَلَ » فعلٌ ماضٍ معلوم و « قُتِلَ » فعل ماضٍ مجهول و « قَتْلٌ » مصدر و « قِتْلٌ » بمعنى العدوّ والمقاتل و « قُتُلٌ » جمع قتول . وقد تُمدُّ احدى هذه الحركات فيقال « قَاتِلٌ » و « قَاتَلَ » و « قَتِيلٌ » و « قتولٌ » و « قِتالٌ » و « قَتالٌ » و « قَتَلَى » الخ . أما قابليتها للاشتقاق على طريق الالحاق فتشارك الطائفة الآرية فيها لكنها تمتاز بحصول معظم الاشتقاق بواسطة تغيير الحركات وبأنها لا تقبل الادوات الملحقة اذا كانت ذات معنًى في نفسها

على ان هذا التقسيم لا يدل بنفسه على وحدة أصل تلك اللغات دلالةً صريحة نظراً لما طرأ عليها من التغيير بعد تفرعها ولكن الاستقراء والمقابلة يوضحان ذلك فان لغات الطائفة السامية ترجع الى ثلاثة أصول الآرامية والعبرانية والعربية وهذه لا شبهة بأنها ترجع كلها الى أصل واحد يسميه علماء اللغات اللغة السامية ونظنه اللغة الاشورية او البابلية . والطائفة الآرية ترجع الى ثلاثة أصول أيضاً وهي اللتغان اللاتينية واليونانية واللغة السنسكريتية (الهندية القديمة)

فمن اللاتينية تفرع معظم لغات اوروبا ومن اليونانية تفرع بعض آخر وتفرع ما بقي من السنسكريتية . وترجع هذه اللغات الثلاث الى أصل واحد أو هي لغة واحدة مفقودة يسمونها اللغة الآرية

وتشترك هاتان الطائفتان كما قدمنا بقابلية الفاظهما للتصريف الحاقاً وادراجاً وتشاركان اللغات غير المتصرفة بارتقائها ووجود الادوات والاشتقاق فيها . وأما اللغات غير المرتقية فالبعد بينها وبين اللغات المرتقية اكثر من ذلك كثيراً على ان البحث والمقابلة يبينان القرابة بينها كلها وتمهيداً لذلك نقول :

اصل اللغات

المراد بتقسيم اللغات على هذه الصورة انما هو تقسيم الامم التي تتكلم بها فالمراد بقولنا انها تقسم الى الطورانية والآرية والسامية ان الامم التي تتكلم اللغات الطورانية الآن ترجع الى اصل واحد وان الامم التي تتكلم اللغات الآرية ترجع الى اصل واحد وهكذا الطوائف الاخرى . فالامم التي تتكلم اللغات الآرية ترجع الى اصل واحد وهكذا الطوائف الاخرى . فالامم التي تتكلم اللغات الآرية مثلا بعضها في اوروبا وبعضها في الهند والفرس . فهما تباعدت المسافة بينها واختلفت عوائدها وأخلاقها اليوم فلا ريب انها كانت في أقدم ازمنة التاريخ أمة واحدة او عائلة واحدة عائشة في بقعة واحدة ثم

قضت الاحوال بتفرقها فانقسمت قسمين قسماً جنوبياً وقسماً شمالياً فسكن الجنوبي اواسط اسيا والشمالي نزح الى اوروبا ثم انقسم كل من هذين القسمين الى اقسام بعد ازمان متفاوتة . وهكذا ايضاً اللغات السامية فقد كان أهلها في اوَّل ازمانهم يقطنون ما بين النهرين وهم الاشوريون او اجدادهم وكانوا يتكلمون لغة واحدة لعلها الاشورية ثم قضت الاحوال فهاجر بعضهم إما التماساً للرزق او فراراً من الحرب الى جزيرة العرب وأقاموا فيها وبتوالي الازمان تنوعت لغتهم الاصلية تبعاً لناموس الارتقاء فتولدت اللغة العربية والامة العربية ثم هاجرت طائفة اخرى وأقامت في شمالي جزيرة العرب وتنوعت لغتها حتى صارت مستقلة وعرفت باللغة العبرانية ولعل ابراهيم الخليل اوَّل المهاجرين . تلك الفروع وفي اثناء تنوع كانت الام الاصلية بين النهرين تتنوَّع ايضاً لانها كلها خاضعة لناموس واحد . وقس على ذلك فروع كل من هذه اللغات فان العبرانية بعد ان صارت مستقله وأقدمها لغة فينيقية نزحت فئة من اهلها غرباً وأقاموا في قرطجنة فتنوعت لغتهم حتى استقلت وعرفت باللغة القرطجنية وهكذا يقال في سائر التفرعات . فاللغة القرطجنية أقرب بألفاظها وأنواع تركيبها الى أختها الفينيقية مما الى خالتها العربية او الى جدتها الاشورية ولكنها أقرب الى هذه مما الى اللغات الآرية على انها أقرب الى الآرية مما الى الطورانية وهي أقرب الى هذه مما الى اللغات الصينية فالفرق يزيد كلما بعدت المسافة بين الامة وزعم تفرعها عن أمها

ثم اذا اعتبرنا مراتب اللغة في نموّها وقابلنا حال اللغات الحالية بها تتضح لنا كيفية تفرّع اللغات وأزمنة تفرعها

المشهور إن الانسان نشأ الاول على ضفاف الفرات ودجلة بين العراق وارمينيا فنما وتكاثر ومن نسله تفرقت الامم في الارض ولكنها لم تتفرق دفعة واحدة بل كانت كلما ضاقت تلك البقعة عن القيام بمعائشهم هاجرت فئة منهم الى جهة من الجهات . وقد ذكرت التوراة اكبر مهاجرة نشأ عنها تعدد اللغات سمتها حكاية تبلبل الالسنة وذكرت في مكان آخر تفرق الامم في الارض ولكنها لم تذكر الا الامم التي تشعبت من نسل نوح فقط بعد الطوفان وأغضت عن الامم التي نشأت قبل زمن الطوفان فأين نسل قايين وفروعه وأين الامم الاخرى التي كانت قبل الطوفان غير الذين كانوا بين النهرين وأغرقهم الطوفان فلا ريب ان المدة بين وجود الانسان الاوّل والطوفان كانت طويلة نشأ في اثنائها امم كثيرة تشعبت وتفرعت وهاجرت فعمرت قسماً كبيراً من الارض

فالظاهر ان المتكلمين باللغات غير المرتقية أقدم من نزح من بين النهرين كالصينيين والمصريين الاصليين فسارت فرقة شرقاً والاخرى غرباً . والتاريخ يساعدنا في تأييد ذلك لان هاتين الأُمتين من اقدم امم الارض ان لم تكونا أقدمها كلها ولغاتهما أبسط اللغات لانهما تفرعتا قبل زمن الطوفان واللغة لا تزال في اول ادوارها أي قبل تولد الادوات وحصول التمييز بين الفعل والاسم والحرف وربما كان

الصينيون من نسل قايين والتوراة تصف نسل قايين بالمهارة في الصناعة والموسيقى والصينيون اقدم ارباب الصنائع على اختلاف أجناسها وأمهر الناس في اتقانها

ونرى بين لفظي (صين) و (قايين) مشابهة حتى يصح القول انهما واحد لان القاف والصاد كثيراً ما تتبادلان والحرف (C) في اللغات الافرنجية يُنطق تارة قافاً (او كافاً) وطوراً صاداً (او سيناً) ومثل ذلك اختلاف لفظ الجيم العربية بين مصر والشام ولفظ الكاف بين بعض قبائل العرب فان بعضهم يلفظها كافاً وبعضهم شيناً وبعضهم سيناً . وترى ايضاً مشابهة بين لفظ قايين واسم مصر فقد كان اسمها (كيم) او (كيمي) والمبادلة بين الميم والنون مشهورة ولا عبرة بالحركات ولذلك بحثٌ لا محل للكلام عليه وانما يهمنا منه ان الامم التي تتكلم اللغات غير المرتقية عمرت الارض قبل زمن الطوفان . ثم هاجر اجداد الامم التي تتكلم اللغات الطورانية فسكنوا شمالي آسيا ومنهم المغول والتتر وغيرهما . ثم نزح الآريون فاقاموا زمناً معاً ثم تفرقوا في جهات الهند وفارس وكردستان واوروبا . ثم الساميون وما تفرّع عنهم كما قدمنا . وكانت اللغة اذا انفصلت عن أمها اخذت تنمو بنفسها وأمها تنمو ايضاً وتسير كل منها تبعاً لاحوال المتكلمين بها وبيئاتهم فلا يمضي زمن حتى تبتعد كل منهما عن الاخرى ولكن المقابلة والتدقيق يبينان ما بين هذه اللغات المتباعدة من المشابهة الدالة على وحدة اصلها . وتتفاوت هذه المشابهة بين اللغات بتفاوت ازمان

انفصالها بعضها عن بعض فان المشابهة بين الفاظ العربيـة والعبرانية وطرق التعبير والاشتقاق فيهما ظاهرة جلية وهكذا بين اللغات الاوربية المتفرعة عن اللاتينية لان كلاً من هذه اللغات تفرعت عن أمها بعد ان نمت فيها انواع التعبير والاشتقاق فبقيت المشابهة ظاهرة فيها . وأما المشابهة بين العربية واللاتينية فأبعد لانهما افترقتا قبل تمام ذلك النمو ونمت كل منهما على حدة وعلى أسلوب مخالف لاسلوب الاخرى فبعدت الشبهة ولهذا السبب ايضاً كانت المشابهة بين العربية والصينية أبعد من ذلك كثيراً لان الصينيين انفصلوا عن الامة الاصلية قبل الساميين بدهور متطاولة واللغة في أبسط احوالها

على اننا مع كل ذلك لا نحرم دليـلاً على المشابهة من بعض الوجوه اذا التمسناها من حيث نرجو العثور عليها اذ لا يليق بنا ان نبحث عن المشابهة في صيغ اشتقاق الفعل بين اللغات الآرية والسامية ولا تركيب الجمل بين اللغة الصينية والعربية بل نبحث عن اقدم مواد اللغة في كل من أصول هـذه اللغات وننظر في أوجه المشابهة بينها والغالب ان نعثر على ضالتنا

فمن اقدم الفاظ اللغة الضمائر والاعداد وأسماء ضروريات الحياة كالطعام والشراب والمأوى والملبس وما يتعلق بذلك :

(١) الضمائر

فالضمائر ترجع الى ثلاثة المتكلم والمخاطب والغائب وكل من هذه يتصرف مع علامات الجمع والتأنيث وغـيرها فاذا جردناها من

تلك العلامات ومن النون التي تلحق بهـا في بعض اللغات ظهرت المشابهة بينها كلها . فضمير المتكلم مقطع حلقي محصور بين الياء والكاف فهو في العربية الياء او الحاء وتظهر في الجمع (نحن) وكذلك في السريانية و « انكي » تلفظ « انوخي » في العبرانية و anok او a في المصرية القديمة و (انكو) او (يا) او (أ) في الاشورية و ego في اللاتينية و ego او egon في اليونانية و aha او ahom في السنسكريتية و i في الانكليزية و ich في الجرمانية و nga او ga او a في الصينية و na في المغولية

أما ضمير المخاطب اذا تجرد من مميزات الجنس والعـدد فهو حرف التاء في سائر اللغات ففي العربيـة واخواتها التاء في انت وفي اللاتينية tu وفي اليونانية su (والتاء والسين تتبادلان) . وفي الفرنساوية tu واخواتهـا وفي الانكليزية thou وفي الجرمانيـة tu او du وفي السنسكريتية tua وفي الفارسـية (تو) . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات الشرقية والمصرية ففي الاشورية (أتَّا) وفي الكلدانية (انت) وفي المصرية القـديمة entuk وفي القبطية ntok وفي الصينية two وفي المغولية ta . أما الغائب فالاصل فيه الهاء في اللغات الشرقية وما يقابلها في اللغات الاخرى ففي اليونانية i وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية hua ومشتقاتها وفي الفارسية « وي » وفي الصينية soh والسين زائدة . وسيأتي تفصيل ذلك في باب الضمائر من هذا الكتاب

(٢) الاعداد

يظهر ان الاعداد احدث عهداً في اللغـة من الضمائر فالمشابهة بينها ابعد مما بين الضمائر

فلفظ (واحد) يظهر انه تولد في اللغات السامية بعد استقلالها عن الآرية أو لعله كان في الآرية ثم فقد الا اثاراً منه باقية في اليونانية . فان الاصل في لفظ واحد العربي (حد) كما هو في اللغات السامية الاخرى ومن تصاريف الواحد في اليونانية heis وعلى كل حال فان اللفظ الدال على الواحد في اللغات الآرية يرجع الى الواو والنون فهو في اللاتينية unus وفي اليونانية en ونحو ذلك في اللغات الآرية الاخرى . أما في اللغات الشرقية فبقي هذا اللفظ محفوظاً في (أوّل) العربية والاصل فيه الواو واللام (واللام والنون تتبادلان)

و (الاثنان) الاصل فيها التاء وما يبدل منها كالثاء والسين والدال فهي في اليونانيـة dio واللاتينية duo وفي الانكليزية two ونحو ذلك في سـائر اللغات الجرمانية أما الالف والنون في العربية فزائدتان علامة للتثنية

و (الثلاثة) الاصل فيها بالعربية (ثلث) وهي كذلك في سائر اللغات السـامية ونحو ذلك في اللغات الآرية ففي اللاتينة tres وفي اليونانية treis والتبادل بين اللام والراء وبين السين والثاء كثير

و (الاربعة) يعسر الجمع فيها بين اللغات السامية والآرية وكذلك (الخمسة) اما (الستة) فالاصل فيها (ست) ففي العبرانية شش وفي

اللاتينية sex وفي اليونانية ex وفي السنسكريتية شش وفي السلافونية شست والمشابهة واضحة

و (السبعة) أصلها سبع وهي في اللاتينية septem وفي اليونانيةEpto وفي الفارسية (هفت) وفي السنسكريتية (سبتا) فالظاهر ان الاصل فيها (سب) والعين دخيلة فى اللغات السامية والتاء دخيلة في اللغات الآرية

وأما ما وراء السبعة فلا سبيل الى تطبيقه فالظاهر ان الطائفتين الآرية والسامية انفصلتا قبل تولد ما بعد السبعة . وهناك امم متوحشة لا تزال الى اليوم ليس في لغتها من الاعداد ما بعد الخمسة

وقد رأيت فيما تقدم ان الاعداد لم تتشابه الا بين الطائفتين الآرية والسامية لان اللغات غير المرتقية انفصلت عن أصلها قبل تولد الاعداد ربعبارة أخرى ان اجداد الصينيين والمغول نزحوا من بين النهرين قبل أن تتولد الاعداد في لغة اهله فتولدت الاعداد عندهم مستقلة فجاءت بعيدة عن تلك فالاثنان في الصينية (شونغ) والثلاثة (سام) والاربعة (سى) والخمسة (نجو) والستة (لوك) الخ

(٣) اسماء ضروريات الحياة

نريد بضروريات الحياة اقدم لوازم المعيشة فالانسان أول عهده بالتكلم وضع اسماء لما احتاج للدلالة عليه ليسد عوزه التماساً للبقاء وقد كان ذلك قبل تولد الضمائر والاعداد فيجب ان تكون المشابهة بينها في سائر اللغات ظاهرة ولكن لا يخفى علي المطالع اللبيب ان اللغة في

في نمو دائم فتتولد فيها الفاظ جديدة وتدثر الفاظ قديمة وان التغيير متواصل في الفاظها نحتاً وابدالاً وقلباً . واكثر الالفاظ تداولاً على الالسنة اكثرها تعرضاً للتغيير وأسماء ضروريات الحياة أقدم الالفاظ واكثرها تداولاً على الالسنة فلا ينتظر ان نرى أمثلة كثيرة من المتشابهات ولا يتفق لنا ان نرى الفاظاً تتشابه في سائر اللغات المرتقية وغير المرتقية معاً فربما تشابهَ لفظ في الطائفتين السامية والآرية وآخر في احداهما والصينية وآخر فيها جميعاً . وهاك أمثلة مما يتشابه في كل اللغات او في بعضها

(١) الام : فان لفظها واحد في سائر لغات العالم لانه أول ما نطق به الانسان وأقدم ما تعلمه . فهو mater في اللاتينية و mitir في اليونانية و matri في السنسكريتية ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية والاصل فيها كلها الميم لانهم يدلون على الام أيضاً بقولهم mama وهكذا في اللغات الاخرى . ففي العربية واخواتها (أم) وفي لغة تيبت بين الهند والصين (يم) وفي الصينية (مو) وفي القبطية (ماو)

(٢) الاب : فهو في اللغات الآرية pater وما يشبهها والاصل فيها الباء وفي اللغات السامية (أب) وفي الصينية (بو) او (فو) وفي التركية (بابا)

(٣) الاكل : في اليونانية edein وفي اللاتينية edere والاصل

فيهما ed وفي السنسكريتية ad وفي المغولية (ايدهو) وفي الصينية (وِت) او (وِد) وفي العربيـة (قات) او (قوت) وفي القاموس اط الرجل جاع وطلب الطعام

(٤) العطاء : فهي في اللاتينية (do) ونحو ذلك في سـائر اللغات الآرية والاصل فيها الدال او التاء وفي العربيـة (أدَّى) او أعطى والعين دخيلة وفي المصرية القديمة (طا)

(٥) القطع : وهو متخلف عن (قط) حكاية صوت القطع وعامٌّ في سائر لغات العالم . ففي اللاتينية coedo وفي الانكليزية cut وفي الفرنساوية casser ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي الصينية (كت) وبالمصرية القديمة (خت) وفي العربية قط او قص او قطع . ومن هـذا القبيل اكثر الافعال المتخلفة عن حكاية الاصوات الطبيعية مثل طفأ ونفخ وغيرهما كما سيأتي في الكلام على تولد اللغة

(٦) الكون : وهو الفعل الدال على الوجود في اللاتينية esse وفي السنسكريتية as ونحو ذلك في سائر اللغات الآرية . وفي العبرانية (يش) وفي السريانية (يت) وفي العربيـة (ايس) ولا توجد الا مركبة مع (لا) في (ليس) ومعناها نفي الوجود

(٧) الرجل : فهو في اللاتينية vir وفي اليونانيـة anir وفي الاسبانية hombre ونحو ذلك في معظم اللغات الآرية وفي العربيـة (مرء) وفي المغولية ere

(٨) حرف النفي : فانه واحد في سائر لغات الارض ففي اللغات السامية (لا) وفي الآرية (no) او احد تنوعاتها وفي اللغات الطورانية (ال) او (نه) او (ما) وفي اليابانية (نا) وفي الصينية (مو) والنسبة اللفظية بين اللام والميم والنون معلومة

هذه أمثلة مما تتشابه أصوله في معظم لغات العالم أما ما يتشابه في بعضها فهو كثير لا يمكننا استيفاؤُه هنا . من أمثلة ذلك تشابه (كهف) العربيـة و cavo اللاتينية . و (ارض او ثرى) و earth الانكليزية و terre الفرنساوية و (اله) العربية و (لها) في لغة تيبت و (الماء) في العربية و (ما) في المصرية القديمة و (مو) في الصينية وقس على ذلك

ما هي اللغة العربية حقيقة

هي احدى اللغات السامية وأرقاها مبنى ومعنى واشتقاقاً وتركيباً ومن هي أرقى لغات العالم . فقد تقدم ان اللغات على اختلاف انواعها تقسم الى مرتقية وغير مرتقية وان هـذه تقسم الى متصرفة وغير متصرفة وان هذه تقسم الى ثلاث طوائف كبرى (١) الآرية (٢) الطورانية (٣) السامية وفيها اللغات العربية والسريانية والعبرانية والفينيقية والقرطجنية والاشورية والبابلية وغيرها . وأرقى اللغات السامية اللغة العربية

والمراد باللغات السامية اللغات التي تكلم بها نسل سام بن نوح وقد اختلف اللغويون في كيفية تفرعها بعضها من بعض والظاهر ان اللغات السامية الرئيسية الحيـة الى الآن وهي السريانية والعبرانية والعربيـة لم تشتق احداها من الاخرى ولكنها فروع لأصل قد طوته يد الايام وهو لغة قدماء الساميين الذين سكنوا ما بين النهرين وقد دعاها علماء اللغة باللغة الآرامية نسبة الى آرام أحـد ابناء سام وهي لغـة سكان ما بين النهرين وربما كانوا المعبر عنهم في التوراة بسكان ارض شنعار الذين عمروا ما بين النهرين بعد الطوفان . والظاهر ان سكان ارض شنعار لما قضت الاحوال بتشتيت شملهم وتبعثرهم في جهات آسيا جعلت لغاتهم تتنوع شيئاً فشيئاً بعـد تشتتهم كل قوم حسب بيئاتهم وطرق معائشهم فسكن بعضهم سواحل سوريا وتنوعت لغتهم وعرفت باللغـة الفينيقية ومنها اللغة العبرانية وسكن آخرون العراق العربي وحدث عن تنوُّع لغتهم اللغة الاشورية ومنها اللغة الكلدانية والسريانية وآخرون قطنوا شـبه جزيرة العرب وتنوَّعت لغتهم وتولد عنها اللغة العربية بفروعها ومنها لغة الحبشة ولغـة حمير وعدنان ومنها لغة قريش التي كتب فيها القرآن وهي التي يكتب بها المتكلمون بالعربية الى هذه الغاية

وتنوع اللغات السامية المتقدم ذكرها لم يتم دفعـة واحدة بل كان تدريجاً على مقتضيات ناموس الارتقاء الجاري في الطبيعة . فقد بقيت تلك اللغات في اول ازمان تشتت الشعب السامي زمناً غير قليل

متشابهة تشابهاً كثيراً كما هو الحال في المتكلمين في اللغة العربية بعد انتشار الاسلام فان كلاً من الشعوب العربية الآن في مصر وسوريا وبلاد المغرب وغيرهم يتكلمون العربية ولكن كل شعب منهم تختلف لغته عن لغات الآخرين اختلافاً قليلاً او كثيراً بنسبة البعد بينهم والاختلاف في احوالهم ولولا القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنساوي والاسبانيولي والايتالياني وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها في ما يكتبونه ويخطبون فيه جعل في لغاتهم المولدة مرجعاً يجمع لغاتهم الى أصل واحد كما لا يخفى

أما في الازمان الغابرة يوم تشتت نسل سام في العالم فلم يكن عندهم لغة مدوَّنة يرجعون اليها ولا كان بينهم رابطة يجتمعون بها لاعراقهم في الجاهلية فكانت العوامل الطبيعية تؤثر في تنويع لغاتهم اكثر كثيراً مما تفعله اليوم فاصبحت على توالي الاجيال لغات مستقل بعضها عن بعض كل الاستقلال. على ان الباحث في أصول تلك اللغات لا يعدم وسائل في ردها كلها الى أصل واحد لتشابه أصولها وقواعدها فاللغة العربية والسريانية تتشابه كثيراً في اشتقاقها وتصاريفها ومعاني الفاظها حتى لا تدع شبهة في وحدة أصلها

ويستنتج مما نقرأهُ في أسفار العهد القديم ان تلك اللغات كانت كثيرة التشابه في الازمنة الاولى الى زمن خروج الاسرائيليين من

مصر وما بعده فان الاسرائيليين قضوا اربعين سنة في برية سينا وجزيرة العرب وكانت لغتهم العبرانية ولكنهم عاشروا العرب وخالطوهم وكانوا يتفاهمون بلا ترجمان . وهناك حوادث كثيرة ذكرتها التوراة تدل على تفاهم العرب والعبرانيين من جملتها زيارة ملكة سبا وهي من ملوك العرب لسليمان بن داود ملك اليهود في القرن العاشر قبل الميلاد أي بعد زمن موسى بخمسة قرون فانها زارت الملك سليمان وتفاهما بغير واسطة المترجمين . وكذلك نزوح اسمعيل وسكناهُ في بلاد العرب وقيامه بينهم وما شاكل ذلك وكلها أدلة على ان فروع اللغات السامية كانت الى ذلك العهد متشابهة كل التشابه اذ لم يكن قد مرَّ عليها الزمن الكافي لاستقلالها إحداها عن الاخرى

أما بعد تلك الازمان فأخذ كل قسم منها يستقل بألفاظه وتراكيبه ويبتعد عن الآخر حتى صار لغة مستقلة شأن كل شيء من أحوال هذا الكون

فاللغة العربية اذاً هي احدى اللغات السامية المتفرعة عن اللغة السامية الاصلية المفقودة الآن ويسميها بعضهم اللغة الآرامية كما قدمنا. وفي اعتقادنا ان لغة أشور وبابل التي قد عثروا على آثارها منقوشة بالاحرف الاسفينية او المسمارية في آثار مملكة أشور أقرب اللغات السامية الى اللغة الاصلية اذا لم تكن هي بقيتها ولعل مزاولة درس تلك الآثار على توالي الايام وتجديد النقب والبحث يؤيد هذا الاعتقاد

كم هي العلوم اللغوية

أما اللغات على العموم فعلومها درجاتٌ متتاليات

﴿ الاول ﴾ يبحث عن الفاظ اللغة من حيث بنائها ومشتقاتها وتركيبها وإعرابها وأوجه استعمالها حقيقةً او مجازاً لمقاصد في التعبير . وهذا ما تعلمه المدارس في أيامنا كالصرف والنحو والمعاني والبيان مما هو ضروريّ لكلّ كاتب

﴿ الثاني ﴾ يبحث عن تاريخ تلك الالفاظ وتنوّعها ودلالتها مع ما طرأ عليها من التغيير بتجريد بسيطها وحلّ مركبها وهذا ما ربما صحت تسميتهُ « علم اللغة او فلسفتها » وبموجبهِ ترد الفاظ كل لغة الى أصول او موضوعات محصورة عدًّا بسيطة بناءً

﴿ الثالث ﴾ مقابلة هذه الاصول من لغات مختلفة وردّها الى أصول قليلة مشتركة وهذا ما يدعى بعلم « مقابلة اللغات » وقد تمكن علماؤها بواسطته من تقسيمها الى صفوف ورتب وعائلات . وهم ينتظرون الظفر بِردّ جميع ما ينطق به البشر الى أصول قليلة

﴿ الرابع ﴾ وهو أسماها يبحث عن كيفية توصل الانسان الى هذه الاصول وكيف نطق بها اولاً

تمهيد

اللغة مؤلفة من الالفاظ والالفاظ تقسم باعتبار الدلالة الى ذات دلالة مطلقة وندعوها تساهلا « الفاظاً مطلقة » وهي التي تصح الدلالة

بواحدة منها على أي موجودٍ حسيًّا كان او معنويًّا وتشتمل على الضمائر وأسماء الاشارة واسم الموصول وما شاكل . والى ذات دلالة مانعة وندعوها تساهلاً « الفاظاً مانعة » أي لا يمكن الدلالة بأحدها الاَّ على قسم من الموجودات او على نوعٍ واحدٍ من المعنى . فبقولنا « حيوان » مثلاً نقصد بعض الموجودات وهكذا لو قلنا « مادَّة » او « قوَّة » اذ يخرج في الاولى جميع ظواهر القوَّة كالانفعالات والعقليات وفي الثانية تخرج المادة وظواهرها . ولكن بقولنا « هذا » ربما نقصد الحيوان او المادَّة او القوَّة او المحبة او الحزن او الفرح أو ما شاكل . وتقول « أنتَ » لكل ما تخاطبه جماداً كان او حيًّا حسيًّا او معنويًّا وهكذا في البواقي . والالفاظ المانعة تقسم الى « دالة على معنى في نفسها » وتنحصر في الفعل والاسم ومشتقاتهما و « دالة على معنى في غيرها » وهي الحروف وما شابهها

موضوع هذا الكتاب

سنقتصر في هذا الكتاب على بعض الملاحظات التي تراءت لنا أثناء مطالعتنا بعض العلوم اللغوية وهي تتعلق بالدرجة الثانية من العلوم اللغوية أي « فلسفة اللغة » في العربية وربما أدخلنا بعض ما يتعلق بالدرجات الاخر تعزيزاً للبرهان

والموضوع يقوم بخمس قضايا ونتيجة . والقضايا هي :

(١) ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنىً هي تنوعات لفظٍ واحد

(٢) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها

(٣) ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى أصول ثنائية تحاكي أصواتاً طبيعية

(٤) ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظٍ واحد او بضعة الفاظ

(٥) ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع أصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهٍ في الصور الذهنية

(النتيجة) ان لغتنا مؤلفة أصلاً من أصول محصورة عدّاً أحادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزيّاً

فمن الواجب اولاً إثبات القضايا المذكورة وهي مقدّمات خمس لعلنا نستطيع اثبات ما دعوناه نتيجة وبالله التوفيق

القضية الاولى

« ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنًى هي تنوعات لفظٍ واحد »

كثيراً ما أشار أئمة اللغة الى هذا النوع من الالفاظ وقد ارتأوا فيه مذاهب شتى لا حاجة لسردها في هذا المقام . أما الاستقراء والمقابلة فقد أثبتا ان هذا التقارب لم يكن عبثاً بل هو دلالة قوية على ان هذه الالفاظ ليست الا تنوعات أصل واحد وان هذه التنوعات قد حصلت بموجب ناموسين عظيمي الاعتبار هما القلب والابدال

﴿ فالقلب ﴾ عبارة عن تقديم او تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه او تغيره تغيراً طفيفاً وهو أقل وروداً من الابدال . ومن أمثلتهِ قولهم بمعنى واحد . لَطَمَ ولَمَطَ . وذَبَحَ وبذَحَ . وبعزَقَ وزَعبقَ . والبهلق والبلهق (المرأة الحمراء جدًّا) . وجذبَ وجبذَ . ورفأ وأرفَ . وتبرعصَ وتبعرصَ . بمعنى اضطرب . وعفلطَ وعلفطَ (خلطَ) . وملجَ ولمجَ . وبرشقَ اللحم وشبرقهُ وشربقهُ بمعنى قطعهُ . وسكبَ وسبكَ . ويقال بشغتْ الارض وبغشتْ أي أمطرت قليلاً . وقفاهُ يفقوهُ بمعنى قفاهُ يقفوهُ . وضبَّ وبضَّ بمعنى سالَ وكذلك صبَّ وبصَّ . وبضعَ وعضبَ وبعَضَ جميعها بمعنى قطعَ . ويقال بِضع او بعض ايام والفرق بالمقدار فقط . والقبطُ والقطب الجمع باليد . وقطبَ الوجهَ وقبطهُ بمعنى واحد . وبكعَ وكبعَ

بمعنى قطعَ . ويقال نضب الماء ونبضَ غارَ . ولعسَ ولسعَ تدلاَّن على نوع واحد من المعنى وهكذا في ما بقي . هذا ولا يخفى ان كثيراً من الالفاظ المقلوبة تخسر معناها الاصلي بالاستعمال فلا يعود يمكننا الجزم بأنها مقلوبة

أما سبب القلب فهو في الغالب الميل لتخفيف اللفظ أو للتفنن فيهِ ويحدث في الغالب اعتباطاً . ومثل ذلك كثير الحدوث بين عامتنا فان معظمهم يقولون « رعبون » في « عربون » . و « إجر » في « رِجل » . وبعض أبناء اللغة يقولون « أطعي » بدلاً من « أعطى » . والسوريون ولا سيما البيروتيون يقولون « إجا » في « جاء » وكثيرون منهم لا يميزون بين « قعـدَ » بمعنى جلس و « عقـدَ » بمعنى ربط فيخلطون بينهما وقد قلَّ بينهم من يلفظ كلمة « زَوْج » على حقها فان معظمهم يقولون فيها « جوز » وهم يقولون « زَقفَ » بمعنى « صفق » فوقع في هذه اللفظة القلب والابدال معاً

أما « الابدال » في الفاظ اللغة فأعظم أهميةً لانه أوسع دائرةً وأشدُّ تأثيراً . وهو عبارة عن ابدال حرف من كلمة ما بحرف يقرب منـهُ لفظاً . ويحصل الابدال غالباً بين الحروف التي هي من مخرج واحد او مخارج متقاربة

وتقسم الحروف باعتبار مخارجها الى حلقية ولسانية حلقية ولسانية سنانية وسنانية او صفيرية وشفوية . والابدال يحصل بين أحرف كل مخرج وبين مخارج مختلفة الاقرب فالاقرب . وهاك ترتيب

الحروف باعتبار قابليتها للابدال ع ء ه ي ح خ غ ق ك . ل ر ن . ض ط د ت . ج ش ث س ص ز ظ ذ . ف ب و م

وقد يقع الابدال بين الاحرف المتقاربة في حكاية أصواتها ولو كانت من مخارج متباينة كالتبادل الحاصل كثيراً بين الميم والنون لان السامع قد يخلط بينهما والعامة قد أبدلت ميم الجمع نوناً وهذه أُبدلت ميماً في أماكن كثيرة . ومن هذا النوع التقارب الحاصل في حكاية أصوات الفاء والخاء والثاء كقولهم ثلغَ وفلغَ بمعنى شقّ فان الاذن لا تكاد تفرق بين لفظيهما وكذلك الحثالة والحفالة (الردي من كل شيء) واغتثت الخيل واغتفت أصابت شيئاً من الربيع ومن هذا القبيل الاشتباه بالسمع بين صوتي الكاف والتاء كقول بعض العامة «تان» في «كان»

أما الادلة على قابلية الحروف للإبدال فكثيرة منها ما قد طرأ على اللغات السامية بعد تفرُّقها لانهُ من المقرَّر انها أي العربية والعبرانية والسريانية كانت لغة واحدة تتكلم بها أمة واحدة تحت لواء واحد وانها بعد ان قُدّر للناطقين بها بالفراق أخذت تتنوَّع تبعاً لمقتضيات احوال كل فريق منهم فوصلت الينا على ما نشاهدها . وهذا الاختلاف قد جرى على ناموس الابدال ويكاد يكون قياسيًّا بدليل ثبوت النسبة بين الاحرف المتبادلة . لان ما كان من الالفاظ من أصل واحد فيها جميعها نرى انه اذا كان احد مقاطع اللفظة العربية «ثاء» مثلاً يكون في مكانها في العبرانية «شين» وبالسريانية «تاء»

نحو « وَثبَ » العربيـة فانهـا في العبرانية ישב يشب وفي السريانية ܝܬܒ « يتب » . و « ثدي » في العربية فانها שדא « شـدا » في العبرانية و ܬܕܐ « تدَا » في السريانية . واذا كان ذالا في العربيـة كان زاياً في العبرانيـة ودالاً في السريانية كذَكرَ و זכר « زكر » و ܕܟܪ « دْكرَ » . والالف في العربية والسريانية هي هاء في العبرانية مطلقاً نحو « ما » الموصولة في الاولين فهي מה « مَهْ » في الاخـيرة . والسين العربيـة شين في أختيها نحو « سأل » فانهـا فيهما ܫܐܠ « شال » . والغين العربية عين فيهما فالعرب يقولون « غرب » والعبرانيون والسريانيون يقولون ערב « عرَب » بالعين . والخاء العربية حاء فيهما فنحن نقول « خرِب » وهم يقولون חרב « حرب » وأمثال هذا التبادل كثيرة عادية وفي الغالب قياسية كما رأيت بحيث يكاد المتكلم باحداها يفهم ألفاظ الاخرى فهماً تاماً ولا يكون على شيء من أمرها بشرط اطلاعه على ناموس هذا التغيير . وفي العبرانية والسريانية ستة أحرف يستعمل كلٌّ منهـا لمقطعين من مخرج واحد وهي ܒ ب ܓ ج ܕ د ܟ ك ܦ ف ܬ ت فالاول يلفظ كالباء العربية أو الفاء الفارسية v والثاني اما جيماً افرنجية قاسية كما في ga أو غيناً عربية . والثالث اما دالاً عربية او ذالا والرابع اما كافاً او خاء والخامس اما فاء عربية او باء فارسية « پ » والسادس اما تاء او ثاء . ويشاهد الابدال في اللغة الواحدة من هذه باختلاف ادوارها وأزمنتها من ذلك في العبرانية זעק « زعق » و שחק « سحق » كانتا تلفظان في

اول ادوارها צעק « صعق » و צחק « صحق » ومن قواعد اللفظ في اللغة الاشورية ان الاحرف السنانية (س ص . . .) متى وقعت قبل احد الاحرف اللسانية السنانية (ت د ط . . .) تقلب لاماً . وان اللسانية السنانية متى وقعت قبل « س » تقلب سيناً او صاداً ولا فرق في هذه اللغة بين الميم والواو لفظاً وحرف واحد يدل على كليهما

ومن الادلة على وقوع الابدال أيضاً ما نشاهده في العربية من الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنى وهي كثيرة نقتصر على ذكر بعضها ليقاس عليها . منها قولهم : بَتكَ وبَشكَ بمعنى قطعَ وانا نتأ ونشأ بمعنى واحد وبَرتكَ وبَرشكَ بمعني بتكَ . ويقال ابشعرَّت الخيل وابثأرَّت وابذعرّت أي ركضت تبادر شيئاً تطلبهُ . والجبيس والضبيس بمعنى الجامد الثقيل الروح . وبذَّ وبزَّ نهب وبثَّ وبسَّ فرَّق ويقال بلج الماء بمعنى برِجَ . ونبجَ الكلب ونبحَ . ويقولون بمعنى السير الشديد أمجَ وعمجَ . وهمجَ وهبشَ أي ضربَ وكذلك خبقَ وحبقَ والحبقر والعبقر بمعنى البرَد (حب الغمام) والظاهر ان الاولى هي الاصل لانها مركبة من حب وقرَّ أي برد وكان يقصد بها « حب البرْد » ثم ابدلت الحاء عيناً بالاستعمال فصارت « عبقر » . ولحسَ ولهسَ ولعسَ بمعنى واحد ومثلهُ كسر وقصر . وبرقَ وبلقَ بمعنى شقَّ . ونحزَ ومحزَ ووكزَ بمعنى واحد . ويقال خبَّ الرجل وغبَّ منعَ ما عندهُ وقد أتى بهذا المعنى ايضاً هفتَ وخفضَ وهبطَ وغمطَ وغمضَ . وضبع في المكان او قبعَ او قمعَ أقام ويقال غبنَ الثوب وخبهُ وكبنهُ اذا عطفهُ وخاطهُ .

وبخس عينهُ وبخزها . والبصط كالبسط في جميع معانيه . وبصعٌ من الليل بمعنى بضعٌ . ويقال بَزَقَ وبسقَ وبصقَ بمعنى واحد . وأفلطَ على لغة تميم كأفلت . وفلغ رأسهُ اوثلغهُ بمعنى شدخهُ وهكذا أيد وأكد وقصم وقطمَ وقضم وقشمَ . وتسربلَ وتسغبلَ سواءٌ في المعنى . وكذلك الراية والغاية والبلاغة والبراعة وغنى وقنى . وفي العربية من هذه الامثال ما يكاد لا يقع تحت الحصر

فقد ثبت مما تقدم ان الابدال واقع . اما اسبابه فهي في الغالب نتيجة علة طبيعية في اعضاء النطق في اول الامر ثم بالاستعمال تحفظ التنوعات وربما خصصوا كل تنوع لفظي بتنوع من المعنى الاصلي ويشبه ذلك ما حدث في اللغة العامة بمصر . فانهم شقوا من لفظ « ثقيل » بالابدال ثلاثة ألفاظ لكل منها معنى مستقلٌ فاللفظة الاصلية ثقيل بالثاء ومعناها معلوم . فأبدلوا الثاء سيناً فقالوا « سقيل » ومعناها عندهم ثقيل الروح . وأبدلوها ايضاً تاءً وقال « تقيل » ويريدون بها ثقيل العقل اوالرزين . وقد حصل هذا التغيير اعتباطاً . ويقال نحو ذلك في « ثبات » فقد شقوا منها « سبات » بالسين بمعنى الصبر و « تبات » بالتاء بمعنى البلادة وثقل الروح . يساعد على حفظ هذه التنوعات افتقار اللغة في اول ادوارها للالفاظ ولانها لم تكن محدودة مدونة والابدال جارٍ في كل آن وزمان فكم من الامم الذين لا يستطيعون لفظ الراء راءً كما نلفظها نحن فيلفظونها قريبة جداً من الغين . ومنهم القسم الاعظم من الفرنسويين والانكليز وجميع قاطني الموصل

وجوارها . ومن عامتنا من يلفظها لاماً وهم في الغالب من الاحداث وكثيرون يستحيل عليهم التلفظ بالثاء أو الظاء او الذال فيلفظونها تاء او سيناً وضاداً او طاء ودالاً او زاياً . ويقول السوريون في ظلّ « ضلّ » بلفظ الظاء ضاداً وبالعكس في ضبط فانهم يقولون فيها « ظبط » وقد أبدلوا ميم الجمع نوناً فهم يقولون « لهن وعليهن » في لهم وعليهم و « بينهن » في بينهم كما سبقت الاشارة . واهالي بيروت ودمشق لا يلفظون القاف الا همزة مفخمة والمصريون أعرق في ذلك فيقولون « آل » في قال و « أميص » في قميص . وأغرب من ذلك استبدال بعض عامتنا الحاء بالتاء فيقولون « صفتَ » في « صفحَ » أو الكاف همزة فيقولون « أأل » في أكل و « آسة في كاسة وبعضهم يعكس الامر فيلفظ الهمزة كافاً كقولهم سكلَ في سأل

وطالما قيل لنا ان بعض سكان البادية يلفظون الكاف شيئاً فيقولون « بيتش » في بيتك وهذا ما يدعى لغوياً بالكشكشة وبعضهم يقول « انطى » في أعطى أي بابدال العين نوناً والبعض لا يستطيعون لفظ الكاف الا تاء فيقولون « تان » في كان وهكذا في كثير مما لا يسعنا المقام استيفاءه

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات في اللغة قبل ان دوّنت اذ تكون أقدر على حفظها لما سبقت الاشارة اليه · وانهُ نظراً لكثرة ستعمالها اتخذها الجامعون الفاظاً اصلية وهم في افتقار اليها لانهم كانوا قد خصصوا كلّ لفظٍ حادث بمعنى حادث وان تكن جميع هذه

التنوعات قابلة الرد بالاستقراء الى أصل واحد لفظاً ومعنى . أما بعد ان دُونت اللغة وكثرت فيها التآليف ووضعت لها الروابط فقد قَلّت قابليتها لحفظ هذه التنوعات مدوّنة فبقيت محصورة بين العامة

القضية الثانية

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها (١)

والدليل على ذلك اننا اذا استقرينا هذه الالفاظ في لغات كثيرة متفاوتة تهذيباً نرى انها تقرب من الدالة على معنى في نفسها بقدر ما تبتعد عن الارتقاء والتهذيب حتى نصل أخيراً الى أدنى اللغات فنراها خالية من الادوات والحروف على الاطلاق ولكنها تستخدم بعض الافعال او الاسماء لقضاء وظيفتها . وايضاحاً لهذه القضية اذكر بعض الامثلة متدرجاً من اللغات الدنيا الى اللغات الاجنبية المهذبة ثم اللغات الشرقية عموماً واخيراً العربية خصوصاً

ان الصينيين كما سبقت الاشارة في غنًى عن هذه الادوات فيستعيضون عنها بالافعال والاسماء فيعبرون عن حرف الجر « في »

(١) يشتمل هذا النوع من الالفاظ على الحروف وما يشبهها وأحرف الزيادة الداخلة على الافعال والاسماء في الاشتقاق

بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كُوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شَاجِنْ إِي تِنغ » مفادها حرفياً « قتلَ رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجلَ بالعصا » ومن قاطني أواسط افريقيا قبائل تُعرف بقبائل « مندنجو » اذا أرادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنغ » اي عنق او « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا « في » . وأدوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب أفعال او اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا أدوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص او ما شاكل والمشهور من هذا النوع البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز أصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت كما هو ظن البعض في لغتنا

وكان المصريون القدماء يعبرون عن « مِن » في قولنا « ساعة من ذهب » بلفظة « نسوْ » ومعناها الاصلي « لسان » ولا ندري أي العلاقة بين هذين المعنيين حتى استعملت لهما لفظة واحدة ولعلهم تصوروا في اللسان صفة الخروج فاستعملوه بمعنى « خرَج من » أي « تكوّن منْ » وهو المقصود بقولنا « ساعة من ذهب » . وعندهم

« خِم » ومعناها حرفياً « غير عارف » ويستعملونها بمعنى « بدون »

والباحث في الطائفة الآرية يرى أمثالاً لا تحصى جميعها تشهد بصدق قولنا وصحة قضيتنا . ويساعد على ذلك سهولة استقراء ادواتها لتوفر المواد اللازمة لذلك وهي اللغات القديمة أمهاتها منها اللاتينية والجرمانية القديمة واليونانية والسنسكريتية وأكاد لا أحتاج الى ذكر شيء من هذا القبيل نظراً لاشتهار أمرها لكن لا بد لي من ايراد بعض الامثلة زيادة للايضاح

قلما يخطر للمتكلمين بالانكليزية ان such مثلاً ومفادها « كذا » منحوتة من أصلين يقربان من so-like ولولا وجود اللغة الانجلوسكسونية أمّ الانكليزية لتعذر استقراؤها . فهي في تلك اللغة swylc وفي اختها الجرمانية solch وجميعها بمعنى واحد . وهكذا في which مفادها « أي » وهذه يمكن تتبعها على الطريقة عينها الى ما يماثل who-like وهي في الانجلوسكسونية hwylc وهكذا الحال في حرف شرط if فانها تُرد الى gif في الانجلوسكسونية و give في الانكليزية أي « أعطى » فكأنهم يقصدون بقولهم if you come ما هو في الاصل give :that: you come ولكثرة الاستعمال نحتت الى if واستغني عن that فبطل استعمالها فبقيت if حرفاً لا يعرف عنه الا كونه يستعمل للشرط . وهكذا لو بحثنا عن ly الاداة التي تلحق أواخر الاسماء فتحولها الى نعوت والنعوت فتجعلها ظروفاً نحو God إله godly الهيّ و generous كريم generously كرماً فقد

استطيع تتبعها الى lic الانجلوسكسونية وهي في الانكليزية like اي « مثل » وفي الجرمانية lich وفي السويدية lig وفي الدتش lijk وجميعها بمعنى واحد فعلموا ان generously كرماً أصلها generous-like; « مثل كريم » وهكذا فيما بقي

اما اللغات الشرقية فتتبع ألفاظها اصعب من المتقدم ذكرها نظراً لقلة المواد اللازمة لذلك كما هو معلوم . بيد اننا لا نعدم وسيلة في تقديم بعض الامثلة تقرباً من المقصود

يستعمل العبرانيون עִם (عِم) والسريانيون ܥܡ (عَمْ) لما هو في لغتنا « مَعْ » حرف عطف واللفظة عينها في العبرانية وما يقاربها في السريانية تستعمل بمعنى شعب والعم الشرعي . فيستدل من كل ذلك ان الاصل فيها معنى الاجتماع والاتحاد فاستعملوها اسماً واداة عطف كما رأيت . ولا يخفى ان « مَعْ » مقلوبة عن « عَمْ » وعند العبرانيين מדוע (مَدُوع) بمعنى « لماذا » مركبة في الاصل من מה (مَهْ) الموصولة وידוע (يَدُوع) علمَ . وهم يعبرون عن قولنا « حسب » بقولهم לפי (لفي) وهي مركبة من حرف الجر « ل » وפי (في) فم . وعندهم بالمعنى عينه כפי (كِفي) من كاف التشبيه و« في » المتقدم ذكرها . وكانوا يستعملون نحو الجيل الثاني عشر قبل المسيح אשר ל (أشر ل...) مركبة من אשר (أشِرْ) الذي ولام الاضافة بمعنى خاصة اوملك وبعد ذلك باجيال اختصروا لفظها حتى صارت تلفظ وتكتب של (شلْ)

بالمعنى عينه فلو لم تحفظ لنا التوراة لغة ذلك العصر لما تيسر لنا تتبع « شل » الى « أشرل ... »

والسريانيون يستعملون ܡܟܝܠ (مِكيل) بمعنى اذن وهي تحل الى ܡܢ (من) حرف جر و ܟܝܠ (كيل) مفادها « قياس الزمن » ولديهم ܗܫܐ « هشا » بمعنى الآن مركبة من ܗܐ (ها) للتنبيه والاشارة وܫܥܐ (شعا) ساعة و ܐܝܟܢܐ (أيكنا) كيف مركبة من « أي » الاستفهامية وܟܢܐ (كنا) وهـذه أصلها ܟܗܢܐ « كهنا » من كاف التشبيه وܗܢܐ (هنا) هذا او هذه تحل الى « ها » التنبيهية وܢܐ (نا) الاشارة بمعنى « ذا » فكأن الاصل في « أيكنا » « أي كهانا » . وأغرب من ذلك انهم ركبوا من « هشا » المتقدم ذكرها و « عدْ » حتى و « ما » الموصولة ما مفادهُ « حتى الآن » لكنهم اختصروا في لفظها حتى صارت ܥܕܡܫ (عَدْمشْ) على ان الاصل فيها « عدما ها شعا » فتأمل

والاشوريون كانوا يستعملون كلمة « قلب » لما هو في لغتنا « وسط » وكثيراً ما نسمع بعض العامة يقولون « في قلب البيت » ويقصدون في وسط البيت . ويستعمل المالطيون « تع » للاضافة كما يستعمل الفرنساويون de والانكليز of وعند البحث عن اصلها نرى انها بقية « متاع » التي لا تزال تستعمل بين عامتنا بمعنى خاصة اوملك. والمصريون اكثر استعمالاً لها وقد تصرفوا في لفظها فقالوا فيها « بتاع »

فقد رأيت في ما تقدم ان اللفظة الواحدة تحل الى لفظين

فاكثر وانه بتركب لفظين فاكثر يحصل لفظ جديد أقلّ احرفاً من مجموع احرفها وقد اشرت ان هذه الالفاظ تتحول الى لفظٍ واحد بالنحت وهاك بعض ما يتعلق به زيادة للايضاح فاقول

﴿ النحت ﴾

النحت ناموسٌ فاعل على الالفاظ وغاية ما يفعله فيها انما هو الاختصار في نطقها تسهيلا للفظها واقتصاداً في الوقت بقدر الامكان. وهذا الناموس لم تنجُ من فتكه لغة من لغات البشر ادناها وأسماها بل قد جرى فيها على السواء من أول نشأتها ولم يزل حتى الآن ولن يزال الى ما شاء الله. ولا يخفى انه مهما كان من عظيم أمره وكيفما تنوّعت طرق عمله ليس للانسان في ذلك يدٌ اختيارية فالنحت جارٍ في الالفاظ عن غير قصدٍ من الناطقين

وهو جارٍ في لغة عامتنا على كيفية ربما أفادت الاشارة اليها اذ منها يظهر مقدار ما لهذا الناموس من عظيم التأثير في ألفاظ اللغة وتعلم انه ليس عليه من مستعظم فأقول

يستعمل الدمشقيون لفظة « شلون » بامالة الفتح نحو الضم بمعنى كيف للاستفهام. فلو فرضنا ان لغة عامتنا جُمعت في هذه الايام بغية حفظها لغةً كتابية وان أحد علماء اللغة في القرن القادم او ما بعدهُ قصد البحث في ألفاظ اللغة بحثاً تحليلياً. فوصل الى هذه اللفظة ماذا ترى يكون رأيه فيها. لا أظنه الا مرجحاً كونها مركبة من أصلين

فاكثر . وربما اهتدى بعد اجهاد الفكرة الى انها مركبة من « لوْن » والشين ومن تحليل معناها يتبين له ان هـذه الشين تتضمن معنى الاستفهام اذ انه يقصد من استعمالها مع « لوْن » الاستفهام عن الكيفية . لكنه عند ذلك لا يكون قد فعل شيئاً لانه لم يزل جاهلا معنى هذه الشين الاصلي . فهذا اذا كان ممن يذهبون الى ان الالفاظ كذا انزلت لا يرى بداً من التسليم ان هـذا الحرف انما وضع للاستفهام . لانه يراهُ قد ورد كثيراً في لغات بيروت ولبنان كقولهم « شسمك » بمعنى ما هو اسمك وما شاكل . وان كان ممن يعتقدون الخلاف ويعلمون ان جميع الادوات الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا ألفاظ ذات معنى في نفسها يأخذ في البحث عن ألفاظ تتضمن هذا المعنى وهذا الحرف وربمـا عثر بعد العناء العظيم على لفظة « شو » التي يستعملها البيروتيون بمعنى « ماذا » فيحكم ان تلك الشين منحوتة منها . وهناك تنقطع سلسلة بحثه فيقف متحيراً آسفاً على ما خسرته اللغة من الالفاظ التي هي حلقات ضرورية لاستقراء أصل مثل هذه الكلمات فيتوقف عن البحث وهو على يقين ان ثمَّ حلقات قُدّر فقدانها ولولا ذلك لتيسر لهُ الاستقراء كما يشاء . اما نحن الآن نظراً لبقاء تلك اللغة متداولة بيننا ولدينا منها لهجات عديدة فيسهل علينا تتبع هذه اللفظة الى أصلها تماماً

فان اللبنانيين يعبرون عن « شو » البيروتية بقولهم « أيش » وبعضهم يلفظها « أيشو » وبعض البيروتيين تصرفوا بها على طريقة

غريبة فقالوا شوُنوّه » والسودانيون يقولون « شوُنو » فمن المقابلة يتضح جلياً ان الاصل فيها جميعها عبارة مؤلفة من ثلاثة ألفاظ مستقل احدها لفظاً ومعنًى وهي « اي شيء هو » وهنا يعرض لدينا سؤال آخر وهو هل يمكننا استقراء احدى هذه الالفاظ الى اكثر من أصلٍ واحد . والجواب اننا لحد معرفتنا الحاضرة يصعب علينا ذلك ويلوح لي ان بعضها قابل وسيأتي الكلام على ذلك في آخر هذا الفصل . والخلاصة أفلا يستغرب ذلك اللغوي اذا قيل له ان هذه الشين منحوتة أصلاً من ثلاثة ألفاظ مستقل أحدها عن الآخر لفظاً ومعنى

وهكذا لو سألنا عن « ليش » المستعملة بمعنى لماذا فاننا نراها مؤلفة منْ لام الاضافة و « أيش » المتقدمة الذكر فكأن الاصل فيها « لاي شيء هو » والبيروتيون يقولون « بدِّي » بمعنى أريد وهي منحوتة من « بِودي » وبعضهم يقول « ماش » اي لا شيء وهي منحوتة من « ما شيء » . وهم يستعملون « شحو » للتنبيه بمنزلة « ها هو » والاصل فيها « إقشعهُ » ولم نكن لنعلم ذلك لولا ان بعض الذين يلفظونها يقربونها من الاصل نوعاً فيقولون «شَعو» . والمصريون يعبرون عن نفي الحال بقولهم « مُشْ » وبعضهم يلفظها « ما هوش » تقرباً من الاصل الذي هو « ما هو شيء » . واللبنانيون يعبرون عن قولنا « الآن » بقولهم « إسا » ويلفظها بعضهم « هسَّع » ويقول فيها السودانيون « حسَّع » والاصل فيها « الساعة » أي هذه الساعة . ومن

هـذا النوع قولهم « لِسَّا » وأصلها « للساعة » والبيروتيون يقولون « هلأْ » بمعنى الآن وبعضهم يلفظها « هلَّق » والدمشقيون يلفظونها « ها لِقيت » بلفظ القاف همزة مفخمة واللبنانيون يلفظونها اقرب للاصل من الجميع فيقولون « ها الوقت » والاصل فيها هـذا الوقت او « ها الوقت » . ويستفهم البيروتيون عن الكمية بقولهم « قدّيش » ولا يقصدون بها الا « كم » على ان الاصل فيها « قدر أي شيء » وهكذا الحال في « كمان » المستعملة بمعنى ايضاً والاصل فيها « كما ان »

وهكذا لو تتبعنا سائر الفاظ العامة . فتأمل كيف يفعل النحت على الالفاظ فيمسخها مسخاً ولا يبرح من بالك انه يختلف في المعنى الواحد باختلاف الاحوال كما شاهدت في شو وأيش وايشو وغيرها . ولا أظنك ترتاب بانه كان يفعل مثل هذا الفعل على اللغة قبل ان بوشر في جمعها بازمان . وعليه فلا تعجب اذا ذهبنا الى ان الالفاظ الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معانٍ في نفسها ولو تعسر علينا استقراء جميعها

قد مررت مرَّ المسرع على اللغات الاجنبية ولغة عامتنا فذكرت منها بعض الامثلة فهلمَّ ننظر في العربية الفصحى لعلها تُسعف فتعطينا ان نبين شيئاً من أصول هذه الادوات وبالله التوفيق

ان الحروف المنطوية تحت هذه القضية هي أحرف الجر والعطف

والمشبهة بالفعل والمشبهة بليس وحروف الاستثناء والاستفهام والنواصب والجوازم والحروف المبنية وأحرف الزيادة

فمن هذه الحروف ما لا يزال ملموحاً فيه معناها الاصلي الذي كانت تدل عليهِ قبلما قُدر لها فقدانهُ والاشتغال في ما لغيرها. منها قولنا « خلا » و « حاشا » الاستثنائيتين وكذا « عدا » فانها مأخوذة من عدا يعدو اي تجاوز. وهكذا الحال في « على ». وكثير من الافعال والحروف قلما يُنظر عند استعمالها حروفاً الى كونها أفعالاً او أسماءً ولو لم تكن الاصول المشتقة هي منها كثيرة التداول بيننا لما كنّا نحسبها الا حروفاً اوظروفاً جامدة. مثال ذلك قولنا « داخل البيت » لا نقصد به اعتيادياً الا « في البيت » وهكذا « خارج البيت » وقولنا « نحو البيت » لا نفهم به غالباً الا « الى البيت » مع انها مشتقة من نحا ينحو اي قصد ومن مشتقاتها ناحية وقس عليها

ومنها ما لم يعد تتبعها سهلاً لانها خسرت بعض حروفها لكثرة الاستعمال وهذه اما احرف مفردة كالباء واللام والكاف والواو والفاء والتاء او غير مفردة وهي ما بقي منها

فالباء حرف من حروف الجر يستعمل لافضاء معاني الافعال الى الاسماء وهي تأتي لاربعة عشر معنى: الالصاق والتعدية والاستعانة والسببية والمصاحبة والظرفية والبدلية والمقابلة والمجاورة والاستعلاء والتبعيض والقسم والغاية والتوكيد. ومعلوم انه لا يمكن ان تكون جميع هذه المعاني أصلية فيها وأظن لا سبيل لنا الى معرفة ما وضعت

للدلالة عليه في الاصل الا مقابلتها بالباء المستعملة في اخوات العربية واذ ذاك نرى ان الباء لا تستعمل في سائر تلك اللغات الا للظرفية فيرجح ان هذا هو الاصل في دلالتها عندنا . وما بقي من المعاني ليس الا تفنناً عربياً . فهل تساعدنا هذه النتيجة في تتبع أصلها — نعلم بالاستقراء ان هذه الباء هي بقية كلمة ذات معنى مستقل هي ܒܝܬ (بيت) بدليل ان هذه الاخيرة مستعملة في السريانية بمعنى في او بين فيقولون ܒܝܬ ܩܒܘܪܐ (بيت قبورا) اي في او بين القبور ولنا ܒܝ (بي) وهي حلقة موصلة بين « بيت » والباء قد وردت في التامود والترجوم بمعنى في البيت وهي في السريانية مجزوم « بيت » وتفيد الظرفية . فيكون لنا إذن سلسلة تامة الحلقات وهي « بيت » ثم « بي » ثم « ب » فيرجح ان الباء هي بقية « بيت » ونظراً لورود « بي » الكلدانية بمعنى الظرفية لا مانع من ان تكون « في » العربية مقلوبة عنها

واللام كالباء تستعمل لمعانٍ كثيرة ومن المقابلة يتضح ان الاصل في دلالتها الاضافة والقصد أي انها تتضمن معنى الى وهي تقوم مقامها في العربية والسريانية ومما يؤكد ذلك ان « الى » قد فقدت من السريانية تماماً اما في العبرانية فتحولت الى « إل » ثم « ل » فيرجح بل يؤكد ان هذه اللام بقية « الى » . ورب قائلٍ من اين اتيت بهذه الدلالة فاجيبهُ . يظهر ان الاصل في معنى « الى » الجهة والناحية كما هو الحال في « نحو » بدليل كون هذه اللفظة في العبرانية جمع ما مفاده

جهة او ناحية وفي العربية « إلية » بمعنى جهة أو ناحية . والظاهر ان الاصل في « إلى » لفظ يقارب « إلية » او هي نفسها وكأنهم كانوا يقصدون بقولهم « ذهب الى المدينة » ما يفيدهُ قولنا « ذهب نحو المدينة »

والكاف يظهر من المقابلة ان الاصل في مؤدَّاها التشبيه بدليل كونها هكذا في بقية اللغات الشرقية . اما أصلها فيظهر انهُ فُقد من العربية وحفظ في اخواتها . فهي في العبرانية بقية כֵּן (كن) مفادها « كذا » وربما يقصدون بقولهم « زيدٌ كالاسد » زيدٌ كذا الاسد . و « كِن » هذه منحوتة من אָכֵן « أكن » في العبرانية بمعنى « حقيقة » وفي الكلدانية ܗܟܢ (هكين) او ܗܟܝ (هَكي) وقد شق العبرانيون من « أكن » ايضاً « أك » ظرفاً يفيد التأكيد . وشق السريانيون من « هكن » ܐܝܟ (أيك) تُلفظ « آخ » بمعنى كاف التشبيه وربما كان في « كنا » العربية ما يلمح فيه هذا المعنى

فبناء على ما تقدم يرجح ان كاف التشبيه هي بقية أصل يقابل « أكن » العبرانية فُقد من العربية ولم يزل محفوظاً فيها مركباً مع لا النافية أعني به « لكن » قال بعض أئمة اللغة انها تفيد الاستدراك فكأن أصل مؤداها « لا حقيقةً » بنفي ما ذكر وتأكيد ما هو آت . هذا ولا غرو اذا شوهد ثم شيء من الاختلاف بين مؤداها الاصلي وما هي عليه فأن الاستعمال لا يزال يفعل عليها حتى الآن اذ ان العامة تستعملها بمعنى « إذن » فيقولِ البيروتيونِ « شو بعمل لكن » بمعنى

« ماذا اعمل إِذن » فسبحان الذي يغير ولا يتغير

والواو تستعمل لما ينيف على ٣٥ معنىً جميعها ترد الى الاستصحاب والاستئناف وعليه يرجح كونها منحوتة من أصل حفظ في العبرانية وهو ״ « وَوْ » فعل متعدٍ مفاده وَصلَ و « سمَّر » . ويرجح ايضاً ان الفاء مقلوبة عن هذهِ الواو لان هـذهِ الاخيرة تؤدي معنى كليهما في العبرانية والسريانية فهم يقولون . « آمن وتحيي » لما هو في لغتنا آمِن فتحيي . ولا يصعب تبادلهما لانهما من مخرج واحد . او انها بقية « فاء » بمعنى عاد

أما التاء ونقصد بها هنا تاء القسم فقـد قال الزمخشري في « تالله لاكيدنَّ اصنامكم » الباء أصل أحرف القسم والواو بدل منها والتاء بدل من الواو وفيها زيادة معنى التعجب كأنه يتعجب من تسهيل الكيد على يده . اه

وما بقي من الادوات مما لا يلمح فيها معناها الاصلي فمؤلف كلٌّ منها من حرفين فاكثر . ومن هذه ما هو مركب من أداتين فاكثر نحو « إلاّ » من « إِن لا » بالادغام و « ألمْ » من همزة الاستفهام و « لم » النافية وهكذا في حيثما وكأي وكذا وكيفما وأيان وإِذ ما ولولا وما شاكل

ومنها ما يظهر بسيطاً لكنهُ قابل الحل الى غير أصل واحد نحو « الآن » فهـذه تحل بسهولة الى « أل » التعريف و « آن » بمعنى الوقت وبجملتها تفيد « هذا الوقت » وكذلك « بين » فانها مركبة من

باء الجر و « أين » ظرف مكان . و « لكن » قد تقدم انها مركَّبة من لا النافية و « كنْ » بمعنى « كذا » . و « ليت » تحل الى « لا » النافية و « إيت » الدالة على الكون المطلق في السريانيـة وقد أبدلت في العربية « بأيس » كما سترى في محل آخر . و « منذ » تحل الى « منْ » و « اذ » . ومثل ذلك « عنـد » فانها مركَّبة من « عنْ » و « يد » بدليل كونها كذلك في اخوات العربية حيث لا تزال تستعمل مكتوبة كلٌّ على حـدة أي « على يد » واللام والنون تتبادلان بسهولة كما لا يخفى . فان العامة تقول في العام الاول « عَاملاوَّل » و « عَامناوَّل » . وهكذا في « لدى » فانها على الارجح مقلوبة عن « لِيد » لانها تتضمن معنى عند تقريباً . و « كم » لا ريب في كونها منحوتة من « كاف » التشبيه و « ما » الموصلة لانها في اخوات العربيـة « كما » فكأن الاصل في مؤدَّاها الاستفهام عن الماهية أي انهُ كان يقصد بها ما مفاده « مثل ماذا » وبالاستعمال خصصت للاستفهام عن الكمية العددية كما حدث في « قدَّيش » المتقدم ذكرها . و « مهما » أصلها « ما وما » وهي في العبرانية « ما ومه » أي مؤلفة من ما الموصلة معطوفة على نفسها كان المراد بها في بادىء استعمالها المبالغة في معنى « ما » . و « لن » منحوتة من لا النافية وأن المصدرية فقصدوا بها في بادىء أمرها نفي المصدر الذي يلمح فيه معنى الاستقبال ثم اطلقت لنفي الاستقبال وربما كان الاصل في « لم » كذلك « لا ام » لكنها قد تنوع معناها بحيث يعسر الحكم عليها قطعياً . ويقال بالاجمال ان

جميع الادوات التي تفيد النفي على أنواعه تكون اما تنوعاً للاداة الاصلية « لا » او مركبة منها وأصل آخر

أما « لدُن » فهي « لدَى » بعد ان ادخلت عليها النون التي هي من تفننات العرب فيلحقونها بأواخر الكلم للترخيم كالتنوين وكما هو الحال في « من » الموصلة فانها و« ما » من أصل واحد بدليل استعمال الاشوريين هذه الاخيرة بمقام الاثنتين وفي العبرانية لنا מה (مه) اداة الموصل لغير العاقل و מי (مي) للعاقل . ولم يزل العرب حتى الآن يتفننون باضافة النون في اواخر الكلم فان السودانيين منهم يقولون « كيفن » بدلاً من كيف و« متين » في متى . و« متى » نرجح انها مركبة من «ما» الاستفهامية وأصل آخر يفيد الاشارة ربما كان «ذا» لانها هكذا في العبرانية والسريانية فيقول السريانيون « ما دَاتا» أي متى اتى وبدلاً من « ماذَ » السريانية يستعمل العبرانيون « ماش » مركبة من ما الموصولة والشين التي هي بقية اسم الموصول « أشر » . والدال السريانية هي اداة الموصول بنفسها

فبعد هذا التجريد قلّت الاصول الناشئة عنها هذه الادوات وأمكن حصرها في عدد قليل جداً اهمها « لا » و« إن » واخواتها و « أو » و« ما » الموصولة و« من »

أما « لا» النافية فيظهر ان النطق بها للنفي طبيعيٌ لوجودها في سائر اللغات على السواء بمعنى واحد فانها في اللغات الشرقية « لا »وفي الطائفة الآرية no او احد تنوعاتها والنسبة اللفظية بين هذين اللفظين

واضحة لان اللام والنون من اكثر الاحرف تبادلاً لتقارب مخرجيهما كما مر عليك . والنتيجة ان احد هذين المقطعين اصليٌ فيها والآخر مبدلٌ منه . وعندي ان النون هي الاصل بدليل اكثرية ورودها عموماً فهي عمومية في اللغات الآرية لانها في اللاتينية وفروعها ne و nemo و no وin وفي اليونانية ni وفي السنسكريتية an و na و no وفي الجرمانية nie و nein وفي الانكليزية nay و not و un و in و no وفي الفارسية « نا » او « نه » وفي القبطية an . وقد ابدلت لاماً في اللغات الشرقية لكنها تركت أثراً يشير الى سابق وجودها . فلنا في العبرانية אין (أين) بمعنى العدم المطلق ومثل ذلك און (أون) . وفي العربية لنا « نَهْنَه » « ونأنأ » بمعنى كفكف وأبطل . ولا يخفى ان الاصل في هذين الفعلين « نا » او « نه » كما في الفارسية وضوعفا للمبالغة كما اعتاد العرب في مثل هذه الاحوال فانهم يقولون « عنعنَ » فلانٌ أي اكثر من ذكر حرف الجر « عَنْ »

ولا نكتفي بذلك بل نسأل انّى لهذه اللفظة الدلالة السلبية وهل وُجدت كما هي أم نحتت عن اصل سابق لها . والجواب على ما أرى ان هذا المقطع من المقاطع التي ينطق بها الانسان غريزياً للنفي والاّ لما تأتى للصدفة ايجادها على هذه الصورة من المطابقة في سائر اللغات . والنفي في أبسط أحواله يحصل بمجرد رفع الصوت كما لو أردنا تقديم تفاحة الى طفل مثلاً وقصدنا توجيه ارادته لاخذها فاننا نناديه بصوت منخفض قائلين « تفاحة تفاحة » لكن لو أردنا زجره

عن أخذها لرفعنا صوتنا قائلين أيضاً « تفاحة تفاحة » بانتهار فيفهم قصدنا . ويتضح ذلك في معاملتنا الحيوانات التي دوننا في الفهم فاننا اذا أردنا استدعاء الهر مثلاً نناديه بصوت معتدل « بس بس . . . » فيأتي آمناً فاهماً مرادنا ولو أردنا طرده من أمامنا لما احتجنا الا لنفس الصوت مرتفعاً مصحوباً بنبرة تهديدية[١] . ولا يخفى اننا نستعمل مع رفع الصوت لزجر ذلك الطفل صوتاً غتمياً حاصلاً من اطباق الفم واخراج الصوت من الانف اذ يسمع متوسطاً بين الميم والنون وربما قلده البعض بقولهم « همّ » او « هن » وتستعمله العامة لزجر الاولاد عن أخذ شيء ما والاطفال تفهم بالبديهة دلالة هذا الصوت على النهي. ولا يبعد أن يكون هو الاصل لجميع تنوعات النفي المتقدم ذكرها . ويؤيد ذلك كون هذا الصوت الغتمي يستعمل في اللغة المصرية القديمة بمنزلة « لا » الناهية عندنا .

أما علاقة هذا المقطع بما قصد به فو كولة بالصورة الذهنية . كما اننا نقصد برفع الرأس نحو الوراء السلب أو الرفض وباحنائه نحو الصدر الايجاب او القبول ولا سبيل للتعليل عن هذه الاشارة ونسبتها الى ما قصد بها على اننا نجريها طبيعياً عن غير علم منا

(١) ومن طرق النهي في اللغة الاشورية الحاق صوت تهديدي هذه حكايته (إه) بصيغة الامر فيقولون في الامر مثلا (إفعل) وفي النهي (إه إفعل)

ومن غرائب النفي والايجاب مما لا يمكن التعبير عنه تعبيراً واضحاً ما يستعمله بعض عامتنا علامة للسلب وهو صوت يحاكي السين او الصاد ويحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق ثم سلخه عنه بطريقة تحاكي المص او « تسُّ » . والسودانيون يستعملونه أيضاً وعندهم صوت آخر يقصدون به قولنا « نعم » او « مليح » والتعبير عنه بالكتابة تعبيراً واضحاً صعبٌ جدًّا . وهو يحصل بالصاق اللسان بسقف الحلق كالمرة الاولى وجعل الهواء يمر بعنف في الجهة اليمنى نحو القصبة . ومهما يكن من أمر هذه الاصوات وصعوبة التعبير عنها فهي موجودة واستعمالها جار بكثرة بين ألوف من الامم . على اننا لم نسمع بوجود حرف يدل على لفظها فالظاهر انها حديثة العهد

هذا ولا يخفى ان ما صح على « لا » يصح على كل تنوعاتها الناهية والنافية أما « لو » فلكونها شرطية وتستعمل حيثما قصد امتناع الجواب لامتناع الشرط ونظراً لورودها في كتب اللغة مراراً للتمني بمعنى ليت وأحياناً للعرض بدلاً من « ألا » ارجح كونها و ܠܘ (لو) السريانية شيئاً واحداً وهذه الاخيرة منحوتة من (لا) والماضي من فعل الكون الذي هو في تلك اللغة ܗܘܐ (هوا) فكأن الاصل في استعمالها للتمني كقولهم « لو نميتُ التعصب فنحيي الوطن فكأننا قلنا ليتنا نميتُ الخ » او العرض بمعنى « ألا » نحو « لو تنزل عندنا فتصيب خيراً » والمقصودُ « ألا تنزل .... » وجملة القول ان « لو » تعد من مركبات « لا » السابقة الذكر

اما « إنْ » و « إنَّ » واخواتها و « أن » و « أم » فمن اصل واحد هو احداها والدليل على ذلك ان في سائر اللغات الشرقية لفظة واحدة هي אִם (ام) في العبرانية و ܐܢ (ان) في السريانيـة وأَم في الحبشية تقوم مقام جميعها استفهاماً واشارة وشرطاً وتوكيداً واستدراكاً

واذا سلمنا بوحدة أصلها يخطر لنا السؤال عن كيفية احتوائها على كل هذه المعاني والدلالات . وعند ذلك يتبين ان الاصل في دلالتها التوكيد والتحقيق فتفرع عنه الاستفهام وهو طلب التحقيق والاشارة وهي التحقيق بعينه والشرط ويقصد به حسب تعريف النحاة ترتيب وقوع أمر على وقوع أمرٍ آخر فكأنهم كانوا يقصدون بقولهم « ان قام زيدٌ أقم » اي متى تأكد قيام زيد تأكد قيامي . أما الاستدراك فهو العدول عن الخطأ الى الصواب وفيه معنى التحقيق وهكذا فيما بقي من مدلولات هذه الالفاظ

أما الاختلاف اللفظي بين هـذه الادوات فلا يعتد به نظراً لسهولة التبادل بين الميم والنون كما قد مرَّ في محل آخر وكما هو الحال في « ذَنب » العربية فانها مبتدلة من « ذمب » في اللغـة الاشورية والعامة تقول « انتلى » عوضاً عن « امتلأ » . اما من قبيل الاسبقية بين الميم والنون فالارجح انها للميم لانهـا من الاحرف السهلة النطق وهي كما اشرنا في اول هـذا الكتاب من الاحرف المتفق وجودها في سائر لغات البشر . ولا يخفى ان الاطفال في اول ادوار حياتهم اول

ما يتلفظون بها فينادون بها اقرب الناس اليهم (امهم) ويطلبون اوَّل وأهم احتياجات عيشهم فيقولون « ممَّا » يقصدون الخبز ومن الغريب اتفاق وجود اسم الوالدة في كل لغات البشر بلفظ واحد تقريباً والمقطع الاصلي فيه الميم

وأغرب من ذلك ان الميم في اللغة المصرية القديمة تستعمل حيثما احتيج الى ربط معنى بآخر فتكون حرف جر فتقوم مقام « من والى وعن وعلى وفي » او حرف عطف عوضاً عن « الواو » او ظرفاً فتقوم مقام « بين وحيثما وغيرهما » او حرف تشبيه بدلاً من « كما ومثل » وللتحقيق عوضاً عن « انَّ واخواتها » وتركب مع غيرها من الادوات فتولد ادوات عديدة لمعانٍ شتى ويستعملونها قبل الاسماء بدلاً مما هو في لغتنا تنوين النكرة فيقولون مثلاً au-a em sera أي « كنت ولداً » فترى ان au-a تفيد « كنت » و sera ولد و em للتنكير . فيظهر ان بينها وبين نون التنوين عندنا نسبة لفظية ومعنوية كما ترى . ويؤيد ذلك ان هذه الميم تستعمل في اللغة الاشورية والعبرانية لبناء الظروف فيضيفونها الى آخر الاسماء فتصير ظروفاً

وقصارى الكلام يقرب للعقل أسبقية الميم وكونها هي الاصل في كل هذه التنوعات اللفظية كما ان معناها الاصلي الذي هو التحقيق او التأكيد هو الاصل لكل تنوعاتها المعنوية

والسؤال الاخير الذي لا مناص من مخامرته الذهن هو . أنَّى لهذا الحرف هذه الدلالة . ولا ريب ان في الاجابة عليه صعوبة على

اني ارجح كل الترجيح انها و « أمن » في اللغات الشرقية من أصل واحد ولعل الميم هي من الاحرف الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً للتحقيق(١)

هذا ولا يفوت القارىء ان « ما » الموصولة وتنوعاتها لفظاً ومعنى تنطوي تحت هذا الباب لانها مقلوب « إم » المتقدم ذكرها ولان « ما » في الاشورية تقوم مقام « إم » و « ما » العبرانيتين اي ان وأن وانَّ واخواتها وأم وما الموصولة ومركباتها في العربية وقولنا « ان هذا الا ملك » يضاهي قولنا « ما هذا الا ملك »

أما « ما » النافية فاما ان تكون مبدلة من « لا » او « نا » واما ان تكون قد اكتسبت دلالة النفي بالمجاورة بمعنى ان الاشوريين مثلا استعملوا « ما » الموصولة مع « لا » النافية كلمة واحدة مدة للنفي ثم صاروا يستعملونها وحدها ويقصدون بها النفي . وقد جرى مثل ذلك في اللغة الفرنساوية فالفرنساويون يقولون personne ويقصدون بها ولا شخص على ان معناها الاصلي شخص

اما « او » فالظاهر انها و « أي » من اصل واحد لتقاربهما لفظاً ومعنى ويؤيد ذلك كونهما في اللغات الشرقية اخوات العربية واحدة

(١) ربما لاحظ المطالع بين هذه الميم والنون التي تبرهن كونها اصلا لجميع تنوعات النفي مشابهة لفظية ومناقضة معنوية ولا يستغرب استعمال احداهما في اول الامر لكلا المعنيين اعني للتحقيق والنفي بتمييز نوع المعنى بدرجة نغمة الصوت كما سبقت الاشارة

هي « أو » فهي الاصل في العربية ايضاً . وهي تستعمل فيها لاحد عشر معنىً . الشك والابهام والتخيير والاباحة والجمع المطلق كالواو والاضراب والتقسيم والاستثناء بمعنى إلا او بمعنى الى أن والتقريب والاشتباه والشرطية نحو لاضربنه عاش أو مات . ومعلوم ان هذه الدلالات لا يمكن ان تكون جميعها أصلية ويستنتج من المقابلة ان الاصل في دلالتها الموافقة والمساواة بين أمرين وعند ذلك يتبين لنا أنها بقية لفظة ذات معنى في نفسها فُقدت من العربية وحُفظت في اخواتها فهي في السريانية ܐܘ (أوي) طابق أو وافق في العبرانية אוה (أَوه) اختار فيرجح ان هذه اللفظة هي الاصل نظراً لتوافق المعنى واللفظ واجتماع معنى الموافقة والاختيار معاً اذ اليهما تعود جميع تنوعات دلالة « أو »

اما « مِن » فتأتي لمعانٍ خمسة عشر يُرَدُّ جميعها الى التبعيض و מן (مِن) في العبرانية جزء او قسم فربما كانت مشتقة من أصل يفيد قولنا قَسمَ أو جزَّأ

وهكذا فيما بقي من الادوات فان معظمها قابل الردّ بالاستقراء الى اصله بشرط اعتبار فعل النحت وقابلية الالفاظ للتغيير والتنوع دلالةً ولفظاً

بقي علينا النظر في أمر احرف الزيادة وفي هل هي بقية الفاظ ذات معنى في نفسها فنقول :

ان فائدة هذه الاحرف محصورة فيما يحصل من الاشتقاق

والتصريف في الافعال والاسماء فتدخل عليها وتنوع في معناها تنويعاً يختلف باختلاف ذلك الحرف

وقبل الشروع في استقرائها اذكرُ شيئاً عاماً يتعلق بأصل هذه الزيادة :

ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة . أعني اذا تتبعنا البحث في أحوال اللغات من أسماها الى أدناها نرى مميزات المشتقات تقل فيها حتى تنتهي الى لغات لا أثر فيها للاشتقاق مطلقاً ومن هذه اللغات ما لا فرق فيه ليس فقط بين الماضي والمضارع والمفرد والجمع والمذكر والمؤنث بل لا دليل على وجود مميز بين الاسم والفعل والحرف كما مر في غير هذا المقام

واللغة عند أول ارتقائها تأخذ في استعمال ما لديها من الالفاظ لمعان تخطر للمتكلم ولم تكن في ذهنه من ذي قبل فيركب وينحت عن غير قصد وينوع في اللفظ والمعنى وهو لا يدري . ولا ينتبه بعد زمن الاَّ وقد توفر لديه من الفعل أنواعٌ ومن الاسم كذلك . وعلى هذا النسق تولد الاشتقاق الفعلي فكان لنا منه اوزان عدة وكذلك التصريف الاسمي فكان لنا به مميزات الجنس والعدد . والاختلاف الحاصل بين اللغات المرتقية في كيفية هذا الاشتقاق ونوعه يؤيد ذلك . فان في بعض هذه اللغات أزمنة فعلية لا أثر لها في البعض الآخر فهي في اللغات الشرقية اثنان ماض ومضارع وفي اللغات الآرية نحو العشرة وكل من هذه يختلف عن كل من ذينك الاثنين . أي ولو وجد زمن

ماض في الفرنساوية او الانكليزية مثلاً لا يكون في كل طرق استعماله كالزمن الماضي في العربية تماماً . والعالم بشيء من احوال هذه اللغات يتأكد ذلك يقيناً. ثم ان من الصيغ الفعلية ما هو اساس هذه اللغة ومستغرب وروده في غيرها فان صيغ المزيدات في العربية هي أصل المشتقات وعليها عمل عظيم في تنويع المعنى الاصلي اذ تكسبهُ خواص تختلف بين مبالغة وتعدية ومطاوعة ومشاركة ومبادلة مما لا يمكن التعبير عنه في اللغات الآرية الا بالفاظ خاصة ذات معانٍ مستقلة . فنحن نعبر عن حصول الضرب بين قوم على التبادل بقولنا « تضاربوا » ولا يكفي لتأدية هـذا المعنى في اللغات الآرية أقل من اربع كلمات . فالانكليز يقولون بالمعنى عينـه they have beaten each other والفرنساويون ils se sont frappés او ils ont frappé les uns les autres ولا يخفى ان اللغات السامية الاخرى تقرب من الآرية من هذا القبيل . وهكذا في ما بقي من صيغ المزيدات ونرى من الجهة الاخرى ان من أنواع الاشتقاق والتصريف في الطائفة الآرية ما تفضل به طائفتنا كالحاق بعض الادوات في أوائل الاصول أو أواخرها للتعبير عن تكرار الفعل أو نفيه أو غير ذلك مما لا يسعنا تأديته الا باضافة الفاظٍ مستقلة كقول الفرنساويين venir المجيء revenir المجيء ثانية comprendre الفهم و malcomprendre اساءة الفهم . وقول الانكليز understood فهم misunderstood ساء الفهم وهكذا في كثير مما لا يسعف المقام في إستيفائه

والتصاريف الاسمية لا تقلُّ اختلافاً عن الفعلية وهي تقوم بتمييز الجنس والعدد والنسبة والتصغير . والجنس في اللغات السامية و بعض اللغات الاخرى نوعان فقط مذكر ومؤنث اما في اللاتينية واليونانية وغيرهما من الطائفة الآرية فثلاثة مذكر ومؤنث وجنس آخر يدعونه بلغتهم Neutrum . اما العدد فبالعكس فانه ثلاثة في العربية واخواتها وفي اليونانية أي مفرد ومثنى وجمع واثنان في معظم الطائفة الآرية أي مفرد وجمع . وزد على ذلك ان ما يعتبر في هذه اللغة مذكراً ربما اعتبر مؤنثاً في تلك وبالعكس فان لفظة « بيت » مثلا مذكرة في العربية ومؤنثة في الفرنساوية و Neutrum في الانكليزية

فمما تقدم يتضح ان الاشتقاق والتصريف حادثان في اللغة وانهما يتبعان كل امة حسب بيئاتها . والاصل في دلالة الالفاظ ان تكون بسيطة ثم تتنوع دلالة وتتكاثر لفظاً بمقدار درجة ارتقاء تلك اللغة . فاذا صحت هذه المقدمة ينتج ان العربية من أرقى اللغات بياناً

اشتقاقات وتصاريف جديدة

والاشتقاق والتصريف دائما التولد في اللغة ما دامت حية فالمتأمل في لغة عامتنا مثلاً يرى هنالك مشتقات وتصاريف فعلية لم تكن في اللغة قبلا أعني لم يتكلم بها العرب . منها قولهم « بَعرِفْ » بمعنى أعرف الآن وهي تدل على الحال ولا تتعداه فتخالف المضارع من هذا القبيل . ويتصرف مع هذه الباء أي فعل كان ويشترط ان يكون

على صيغة المضارع فتكسبه الدلالة الحالية فيقال « بَعرف » للمتكلم و « بْتعرف » للمخاطب و « بْيعرف » لغائب الخ . وهناك صيغة أخرى تفيد الحال مع الاستمرار كقولهم « عمبا كُلْ » وهي تفيد قولنا « آخذ في الاكل على الاستمرار » ومركبة من الصيغة المتقدمة الذكر بالحاق « عم » في أولها وقد ينوعون هذه الاداة فيقولون « مِنا كل » بابدالها « من » وحذف الباء والمعنى واحد في كليهما اعني الحال المستمر . واهل العراق يقولون في هذا المعنى « قا آكل » أو « قا اكتب » واهل مراكش يقولون « كا آكل » او « كا اكتب »

ويستعمل المصريون بمعنى الاستقبال القريب قولهم « حا شرَب » أي « سأشرب قريباً » ويصرفونها كما يتصرف المضارع مع سين الاستقبال فيقولون حا شرَب . حَنشرب . حَيشرب . حتشرب .. الخ

ويقول اهل مراكش بهذا المعنى « ماش اشرب » اوغاد اشرب » ويصرفون الفعل معها مثل تصريفه مع الحاء

فاذا نظر اجنبيٌّ في هذه الصيغ المحدثة في لغة العامة وهو لا يعرف الا اللغة الفصحى فانه يحكم لاول وهلة ان الباء و « عم » و « من » و « الحاء » و « قا » و « كا » انما هي ادوات مثل احرف المضارعة وسين الاستقبال وما شاكل ولا يخطر له انها بقايا الفاظ ذات معنى في نفسها . اما نحن الآن فنظراً لكثرة المواد العامية لدينا ولسهولة حصولنا على حلقات موصلة بين هذه البقايا وأصولها يسهل علينا استقراؤها وتتبعها الى تلك الاصول : فان عامة البيروتيين تقول

بمعنى الحال والاستمرار « عمّال آكل » وهي تؤدي معنى « عَم آكل » او « مِنا آكل » تماماً . وبالمقابلة يتأكد لدينا ان الاصل في هذه الاداة انما هو « عمّال » التي هي صيغة المبالغة من « عملَ » والتقارب في المعنى واضح . فتأمل كيف تحولت « عمّال » الى « عَمْ » وبالاخص الى « مِن » ومن اهل بغداد من يقول « قاعد آكل » بدلاً من « قا آكل » ومن اهل مراكش من يقول « كائن آكل » بدلاً من « كا آكل » فيستدل من ذلك ان « قا » أصلها « قاعد » و « كا » أصلها « كائن »

اما الحاء فتتبعها اصعب لا سيما لمن كان بالنسبة الى لغة عامتنا مثلنا بالنسبة الى اللغة الفصحى وربما جزم باستحالته غير متردد . لكننا من مقابلة لهجة المصريين بلهجة السوريين يتيسر لنا معرفة اصلها بسهولة لان البيروتيين يقولون بمعنى الاستقبال القريب « رَحأشرب » أي سأشرب واللبنانيون يقولون « رَايح أشرب » بالمعنى عينه فمن مقابلة هذه السلسلة « ح » ثم « رَحْ » ثم رايح » يتضح جلياً أن الاصل في هذه الحاء هو صيغة اسم الفاعل من فعلٍ ذي معنى بنفسه هو « راح » أي مضى . واما « ماش » او « غاد » في لغة مراكش فواضح ان أصلهما « ماشي » وغادي »

فلا غرو بعد ذلك اذا حتمنا ان أحرف الزيادة انما هي بقايا الفاظ مستقلة المعنى ولو لم يتيسر لنا تتبع جميعها الى أصولها

اما الباء الدالة على الحال فالوصول الى أصلها عسرٌ وقد يتبادر الى الذهن انها بقية لفظ « بدّي » العامية ومعناها أريد وأصلها « بودّي »

وقد سمعنا لبعضهم تعليلاً يجعلها منحوتة من « أبغي » ولكنه لا يخلو من التكلف . على اننا نحكم قياساً ان هذه الباء بقية لفظة ذات معنى في نفسها ولو استحال علينا التوصل الى تلك اللفظة الآن على اننا لا نقنط من امكان استقراء قسم عظيم من هذه الاحرف فنبدأ بالفعل :

مزيدات الافعال وتصاريفها

ان الاحرف المزيدة في الفعل الثلاثي لتكوين صيغ المزيدات هي الهمزة في أفعلَ والالف في فاعلَ والتاء في تفعل وتفاعلَ والالف والتاء في افتعلَ والالف والنون في إنفعلَ والالف والسين والتاء في استفعلَ

فالالف في « أفعلَ » وتكسب الفعل اللازم معنى التعدية يصعب تتبعها بدون تكلف فاضرب عنها صفحاً . اما الالف في فاعلَ وتفاعلَ فقد حصلت بمد حركة الفاء وربما قُصدَ بذلك بادىء بدىء نوعٌ من المبالغة لتوهم ذهني كما هو الحال في تضعيف عين « فعل » مما سيأتي في محل آخر . اما التاء في تفعل وتفاعلَ و« إت » في إفتعلَ فتكسبان الفعل معنى المطاوعة الذي يلمح فيه شيءٌ من معنى المجهول . والمشترك بينها جميعها التاء . ولكي نصل الى الحقيقة يقتضي لنا الاستفهام عن أصل هذه التاء وكيف تأتت لها هذه الخاصة . وعند البحث والمقابلة في اخوات العربيـة يظهر لنا انها بقية « إت » او ما يماثلهـا . وهي لفظة من الالفاظ المطلقة لم تزل مستعملة في العبرانية بمعنى « ذات » ولا تقع الا مفعولاً بها وهي في السريانية ܝܬ (يت) وفي العربيـة

« ذات » مركبة مع « ذا » الاشارية اما الاصل وحده فقد فُقد من لغتنا على ما يظهر . وهـذه اللفظة موجودة في سـائر اللغات بمعنى الكون المطلق كما سيأتي في شرح القضايا التالية . اما المطاوعات التائية في العبرانية والسريانية فأقدر على تبيين كونها هي اصل المطاوعة في العربيـة ايضاً اذ انها تكتب في كليهما ملحقة في أول الفعل . ففي السريانية ܐܬܦܥܠ (إتفعل) بزيادة « إت » المتقدم ذكرها على المجرد الثلاثي وفي العبرانية قلبت الهزة هاء فهم يقولون התפעל (هِتفعل) فلنا الآن « إفتعلَ » و « اتفعل » و « هِتفعل » بمعنى واحد وكلها تفيد المطاوعة . ونظراً لكون كل من « اتفعل » و « هتفعل » يقوم مقام « تفعل وتفاعلَ وإفتعلَ » يرجح كل الترجيح ان الاداة المشتركة بينها جميعاً هي « إت » . اما من قبيل مطابقة الدلالة الحاصلة من مجموع دلالة « إت » و « فعلَ » دلالة إفتعل ورفيقاتها فواضحٌ لانه قد تقدم ان هذه الاداة تفيد « الذات » فكأنهم أول استعمالهم هذه الصيغة كانوا يقصدون بها انحصار الفعل في نفس الفاعل فقالوا « إت قتل » بمعنى حصول القتل في نفس الفـاعل وقد تنوع معناها بالاسـتعمال الى المطاوعة التي تقرب كثيراً من المجهول لانك تقول « جمعته فاجتمع » وبكثرة الاستعمال تولد التنوعان الاخران

أما من قبيل وضع التاء بعد الفاء في « إفتعل » فيرد الى ناموس القلب بسهولة . على ان بعض أهل مصر ينطقون بها كما في السريانية فيقولون « إتجمع » في اجتمع و « اترفتَ » في ارتفت . واغرب من

ذلك استعمالهم هذه الصيغة بدلاً من انفعل ايضاً فيقولون « إتكسر » بالتاء عوضاً من « انكسر » بالنون و« اتقطع » في انقطع . وهذه الامثال كثيرة الورود بينهم بحيث يكاد يقال انهم أبطلوا صيغة انفعل وافتعل وأبدلوهما بإتفعل وكل ذلك من كلام عامتهم

أما الالف والنون في « إنفعل » فاما ان تكون « إت » بعد الابدال كما سبقت الاشارة لتقارب المعنى بين إنفعلَ وإفتعلَ ولكون الصيغة الاولى لا وجود لها في السريانية فتنوب عنها الثانية . او انها بقية « نفس » التي هي بمعنى « إت » تماماً وهي في العبرانية والسريانية ܢܦܫ « نفش » فما المانع من حصول النحت فيها بحيث خسرت حرفيها الاخيرين ويؤيد ذلك ان هذه الصيغة في العبرانية هي נִפְעַל « نفعل » بمعنى المجهول تماماً فربما قصدوا بها ما قصدوا بسابقتها . ولا عبرة في الهمزة الزائدة في إنفعل

واستفعل مزيد فيها « إست » وهي تؤثر في معناها على كيفيات مختلفة تردّ الى الطلب والميل وعند ذلك يلزمنا البحث عن كيفية حصول هذه الاحرف على هذه الخاصية . وبالمقابلة يلوح لنا انها بقية فعل فُقد من العربية وحفظ في السريانية بمعنى مال وهو ܣܛܐ « سطا » حيث قلبت التاء طاء فهم يقصدون بقولهم « استقتل » مال الى القتل أو أحب القتل وفي « استغفر » طلب الغفران وقس عليه . ومما لا بأس من ذكرهِ ان « إست » في التركية تفيد الارادة والطلب والسؤال والرجاء والرغبة والارتغاب

وليست هذه كل مزيدات الافعال في العربية وانما هي ما غلب استعماله منها وهناك مزيدات كثيرة أهملت فاندثرت ومنها ما لم يبق منها الا أمثلة قليلة حفظت في بعض المظان وهي نادرة . فمن مزيدات الثلاثي المهملة مما زيد فيه حرفٌ واحد ما هو على وزن « تفعلَ » مثل ترمسَ وترفل او « نفَعلَ » مثل نرجس و « هفعل » مثل هلقم وهذا لا يزال شائعاً في العبرانية و « سَفعلَ » مثل سنبس بمعنى نبس . و « مَفعل » مثل مرحب بمعنى رحب و « فيعل » مثل بيصل و « فوعل » كحوقل وهاتان الصيغتان شائعتان على ألسنة عامتنا الى اليوم مثل قولهم طياق وطيلع وبيسع وقيعد وخوطر وزوبن وعورض ودوقر - او على وزن « فأعل » مثل تأبل و « فنعل » كفرنص وغيرها . ومما زيد فيه « ثلاثة » أحرف افعوَّل كاعلوَّط و « افعونل » وغيرها . وقد أورد صاحب المزهر أمثلة كثيرة منها - ومن المزيدات التي حدثت في اللغة العربية بعد جمعها « تمفعل » مثل قولهم « تمعزز » و « تمخطر »

ومما يزاد ايضاً في الافعال نون التوكيد وهي تفيد تأكيد الطلب أو التمني وبعد البحث يظهر انها بقية لفظة بمعنى « هلمّ او ليت » حفظت في سائر اللغات السامية الا العربية فهي في العبرانية נא « نا » تستعمل للطلب والتمني فيقولون שב-נא « شب نا » ارجو ان تجلس او ليتك تجلس . وفي السريانية ܢܐ « نا » او ܢܝ « ني »وهي تُعدُّ عندهم من الالفاظ المهملة ومنهم من يخطئون فهمها . وفي السامرية « نا » او

« ني » وفي الحبشية تكتب « نع » وتلفظ قريبة من « نا » وهي تتصرف عند الحبشيين ويقصدون بها ما نقصد بقولنا « هلم » . والغالب ان هـذه اللفظة مأخوذة من أصل يدلُّ على حدث لم يعد مميزاً في اللغات الشرقية اما في المصرية القديمة فلنا na تفيد المجيء ويرجح ان هذه الدلالة هي الاصل في الجميع . اذ ان هذه التنوعات مهما تعددت لفظاً ومعنى ترد بسهولة اليها لان التوكيد في العربية يستعمل للامر والنهي والاستفهام والترجي والعرض والتحضيض والتمني والقسم وجميعها راجع الى تأكيد الطلب والتمني ويجمعها قولك « هلمّ » وهذه تقرب معنىً من « جاء » على صيغة الانشاء فقولنا « هلمّ نذهب » يضاهي قولنا « تعالوا نذهب » فكأن العبرانيين يقصدون بقولهم « شب نا » تعال اجلس او هلمّ اجلس . ويقصد العرب بقولهم « قُومَنْ » هلم قم او تعال قم . اما التشديد فعارض على النون كما عرض في انّ وأخواتها وكما سترى عند الكلام على المضاعف

ومن اشتقاقات الفعل ايضاً اسم المفعول والفاعل واسم الآلة وجميعها الاّ الثلاثي المجرد يصاغ بزيادة ميم في أوله والاصل في هـذه الميم على ما يظهر الدلالة الموصولية ففي قولنا « مُكرِم » نقصد الذي يُكرِم او مَن يكرِم وفي « مُكرَم » نقصد الذي يكرَم او مَنْ يكرَم . فنستدل ان هـذه الميم هي بقية « مَنْ » او « ما » الموصولتين لانها كثيراً ما وردت في العبرانية متصلة بالافعال مجردة من النون . ويؤيد ذلك تطابقها لتلك الميم لفظاً ومعنى بحيث يمكنها القيام مقامها تماماً فان

« مِلقط » و « ما يلقط » بمعنى واحد . ثم ان اسم الزمان والمكان يحملان على هذا التأويل مجازاً . اما اسم الفاعل والمفعول في الثلاثي المجرد فحاصلان في الغالب بمد احدى حركات الاصل

ومن المشتقات الفعلية المضارع وهو يصاغ باضافة احد احرف المضارعة (الالف والنون والياء والتاء) في أول الماضي . وما هذه الاحرف الا بقايا الضمائر المنفصلة اذ ان الالف والنون من مختصات المتكلم على اطلاقه والياء للغائب والتاء للمخاطب كما سيأتي في باب الالفاظ المطلقة وهي تقابل ضمائر الرفع المتصلة التي نحتت في الاصل من الضمائر المنفصلة

ورب قائل يقول كيف تفيد هذه الاحرف المضارع اذا ألحقت في أول الفعل والماضي اذا ألحقت في آخره فالجواب ان اللغة في بادئ أمرها لم يكن فيها مشتقات فعلية ماضٍ او مضارع فكانت لفظة « ذهب » مثلاً تفيد مطلق الذهاب غير مقترن بزمان فاذا أراد المتكلم الدلالة على ان الذهاب حدث في زمن مضى ذكر اولاً الفعل ثم الضمير . فيقول مثلاً للمخاطب « ذهب انت » فكأنه بتقديمه الفعل لفظاً يشير الى تقدم حدوثه معنى . وبعكس ذلك متى اراد الاستقبال فانه كان يقدم الضمير فيقول « انت ذهب » مؤخراً الفعل بالوضع بناءً على تأخره في الحدوث . ثم خسرت الضمائر بعض اجزائها بالنحت لتخفيف اللفظ فوصلت الينا على ما نشاهدها وقد جرى ما يماثل ذلك

في صدر الاسلام فان بعض القبائل كانوا يقولون « أنْ فعلتُ » بدلاً من « انا فعلتُ » ويشهد بان احرف المضارعة هي في الاصل ضمائر حالة اللغات الاخرى المرتقية حيث يقوم فيها الضمير المنفصل مقام حرف المضارعة عندنا . فالاصل الدال على الذهاب في الانكليزية مثلاً Go فيصاغ منه الحال باضافة الضمير المنفصل في اوله فنقول في أذهب I go ومفادها حرفياً « انا ذهب » وفي تذهب you go ومفادها حرفياً « انت ذهب » وهكذا في كثير من اللغات

ومن هذا القبيل أيضاً صيغ الاسماء فانها كثيرة في العربية وما أهمل منها اكثر مما بقي . فقد ذكر صاحب المزهر بضع عشرة صيغة مما أهمل او بطل استعماله مثل فعالل فعوعل وفيعل وفوعل وفوعال وفعلليل وفنعليل ويفعول وتفعول وغيرها . وبعض هذه الصيغ مألوف الى الآن في أخوات العربية وبعض المألوف منها في هذه مهجور في تلك

على ان صيغ الاسماء لا تزال تتجدد بتوالي الازمان للتعويض عما اندثر شأن الاجسام الحية النامية . فمن الصيغ التي حدثت في العربية وهي شائعة على ألسنة عامة الشام « فعُّول » و « فعُّولة » للتصغير او التحبب او لهما معاً مثل قولهم في نصر الله « نصُّور » وفي نعمان « نعُّوم » وفي عائشة « عيُّوشة » وفي أمينة « اموُّنة » وكلها للتحبب ومثل قولهم في سيف « سيُّوف » فانها للتصغير وعندهم صيغة لتصغير التصغير على وزن « فعُّولاية » فيقولان في « سيُّوف » « سيوفاية »

ومثلها « نتوفاية » من « نتوفة » تصغير « نتفة » وهي عندهم بمعنى القطعة والقليل من كل شيء . ومما حدث من صيغ الاسماء وزن « تفعالة » مثل تحماية وتوصاية وتسلاية وأصلها توصية على وزن تفعلة

تصاريف الاسماء

نذكر من التصاريف الاسمية اولاً النسبة وهي تصاغ بزيادة ياء مشددة مكسور ما قبلها في آخر الاسم فمن « تَغلبْ » « تغلبيّ » ومن « دمشق » « دمشقيّ » فخاصة النسبة موقوفة على الياء المشددة . وأنّى لها هذه الخاصة ؟ يستدل من المقابلة بينها وبين ما يقابلها في سائر اللغات السامية انها في الجميع من اصل واحد فهي في العبرانية كما في العربية تماماً اما في السريانية فهي ܝܐ « يا » مفتوح ما قبلها وهي الاقرب الى الاصل الذي هو « اوي » في السريانية ومعناه « وافق » او ناسب كما تقدم وهو في العبرانية « أوَه » مال او قَطنَ وفي العربية « أوى » مال الى او قطنَ . والظاهر ان الاصل في النسبة ان تكون الى الاماكن كبيروتي ودمشقي ومصري . وعندما نرى ان ܒܝܬ « بيت » تنسب في السريانية ܒܝܬܝܐ « بَيتيا » بعد حركة التاء يرجح لنا ان ياء النسبة بقية « أوى » المتقدم ذكرها . فقولهم بيروتي يراد به ساكن ببروت او مناسب لها وهكذا في البواقي . وأما قولنا علميّ وأدبيّ فقد استعمل مجازاً في بادئ الامر وكثر وروده حتى اعتبر حقيقياً . ومما لا يخلو ذكره من فائدة ان « أوى » تقابل aveo

اللاتينية و aw السنسكريتية وجميعها بمعنى « مال الى » . وترى في الامثلة المتقدمة ان الالف والواو فقدتا بالنحت لكنهما قد تظهران احياناً كما في حي وحيوي . ومن التصاريف الاسمية التصغير ويصعب علينا تعليله الا ان نعدّه صيغة من صيغ الاسم تكسبه معنى التصغير نحو ما تكسبه اياه صيغة فعُّول العامية المتقدم ذكرها - ومما يشترك بين الافعال والاسماء من الزيادات مميز الجنس والعدد

اما « مميز الجنس » فليس أصلياً في اللغة والدليل على ذلك انه يقلُّ في بعض اللغات ولا وجود له في البعض الآخر : قلنا في ما تقدم ان اللغات الدنيا هي في الغالب خالية من مثل هذا المميز . ونقول الآن ان بعض اللغات الآرية يميز فيها المؤنث من المذكر باضافة الفاظ مستقلة ذات معنى في نفسها الى اصل مشترك الدلالة يقابل اسم الجنس عندنا . ففي الانكليزية goat ماعز يقصدون بها المذكر اعتيادياً فاذا أرادوا التمييز ودفع الالتباس اضافوا اليها ما يميزها من الضمائر فيقال he goat للمذكر و she goat للمؤنث . وقد يحصل هذا التمييز باضافة كلمة « رجل » او « امرأة » فعندهم cook تفيد قولنا « طباخ » فيقولون لرفع الالتباس a man cook رجل طباخ و a woman cook امرأة « طباخ » وقد يحصل التمييز باضافة لفظة ديك او دجاجة الى الاسم المشترك فيقولون cock sparrow .فاده حرفياً « ديك دوري » ويقصدون به « عصفور دوري » و hen sparrow دجاجة دوري يقصدون بها « عصفورة دورية » . والانكليز لا مميز

للجنس او العدد في نعوت لغتهم مطلقاً فيقولون good man رجل صالح good woman امرأة صالحة good men رجال صالحون good women نساء صالحات . وهذا النقص في الانكليزية محدود (في الاسماء) اما في الفارسية فعامٌّ في جميع أسمائها فلا يتميز الجنس فيها الا باضافة كلمة مستقلة المعنى فيقولون «شير» اسد وهو اسم جنس فاذا أرادوا الذكر قالوا «شير نَرْ» أي اسد ذكر او المؤنث قالوا «شير مادَه» اسد انثى ويقصدون بها لبؤة . وهكذا في كثير من اللغات الطورانية فان في التركية يقال (كما في الفارسية) «قيون» اسم جنس الغنم فاذا أرادوا خروف قالوا «اركك قيون» ذكر غنم . او غنمة قالوا «ديشي قيون» أي انثى غنم . وفي بعض المسميات البشرية يزيدون كلمة «قِزْ» (ابنة) على المذكر فيصير مؤنثاً فمن «قرنداش» اخ عندهم «قِزْقرنداش» اخت ومن «اوغلان» غلام «قِز اوغلان» صبية

اما في معظم اللغات المرتقية فيميز المؤنث من المذكر بحركة تجعل في أواخر الاسم او الفعل وهي من الفتحة فما دون حتى الكسرة فهي في اللاتينية واليونانية «a» او «e» وفي الفرنساوية «e» وفي المصرية القديمة والاشورية الفتحة او الكسرة وفي العبرانية الفتحة مسندة بالهاء . وفي السريانية الفتحة مسندة بالالف وفي العربية الفتحة مسندة بالتاء التي تعود هاء عند الوقف . ومن الجهة الاخرى تبدل الهاء العبرانية تاء عند التحرك فنحن نقول من قتل «قتلتْ»

للمؤنث وهكذا السريان ܩܛܠܬ اما العبرانيون فيقولون קטלה (قتله) بالهاء فاذا اقتضت العوامل تحريكها قلبت تاءً

فبناءً عليه يرجح ان علامة التأنيث ليست الا حركة وضعت طبقاً لصورة ذهنية شاهدة بمناسبة هـذه الحركة لدلالتها. ويؤيد ذلك اتفاق وجودها في اكثر اللغات على السواء. على ان القيـاس يقتضي كونها بقية لفظة تفيد قولنا « انثى » والله اعلم

و ﴿ مميز العدد ﴾ حادث في اللغات ايضاً لاختلاف درجات هذا التمييز باختلاف اللغة. ونتكلم عن مميز الجمع لان المثنى فرعٌ منه فيظهر من المقابلة ان علامة الجمع واحدة في سائر اللغات الشرقيـة اسمائها وأفعالها. ففي العربية النون في الاسماء والافعال الخمسة والميم في الضمائر. وفي العبرانية الميم في الجميع لكنها وردت مراراً عديدة مبدلة بالنون. وفي السريانية النون في الجميع ولم ترد ميماً على الاطلاق وعندما نتذكر قابلية التبادل بين الميم والنون يسهل علينا الحكم بوحدة أصلها في الجميع. والنون علامة الجمع في اللغات الهندية وما ينتمي اليها كالفارسية والالمانية والاوردية

ومما يحسن ذكره في هذا المقام ان الميم في العربية تلحق بأواخر الاسماء للتعظيم فيقال « رجل بحرم » أي بحر كبير. وترى بين دلالة هـذه الميم وميم الجمع علاقة عظيمة بحيث يكاد يثبت ان كليهما واحد لان للتعظيم والكثرة صورتين متقاربتي الشكل في ذهننا. على اننا بعد كل ذلك لا ننجو من السؤال عن كيفية حصول هـذه الميم على

هذه الخاصة فيتبادر الى ذهننا انها بقية كلمة اتفق وجودها في جميع اللغات السامية والمصرية هي «يمّ» بمعنى نهر كبير او بحر فمن وجودها في جميع هذه اللغات يستدل على قدم عهدها وربما كانت حكاية صوت المياه اذا جرت بغزارة فتوهموا فيها معنى الكثرة

وسواء استطعنا تتبع جميع هـذه الالفاظ الى أصلها او لا ومهما يكن في تعليلنا من الغرابة والتكلف فذلك لا يمنع استدلال العقل بهذه الامثلة القليلة حتى يحكم بالقياس على سائر اللغات واعتماداً على ما للاحوال من التأثير في الالفاظ وكيف انها فاعلة عليها دواماً فتنوعها لفظاً ومعنىً بين نحت وابدال وقلب

ونظن ما ذكرناه كافياً لاثبات القضية الثانية ونضرب صفحاً عن أبحاث اخرى مطولة تتعلق بأوزان جمع التكسير وحركات الاعراب وأسباب المنع من الصرف وغير ذلك من الاشتقاقات والتصاريف التي يقتضي لها بحث أدق وزمن أطول ومقام أرحب

ومما لا بدّ من ذكره ان معظم هـذه الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها قد تولدت في اللغة قبل ان بوشر في جمعها بأزمان لا يعرف مقدارها والارجح انها تولدت في جميع اللغات السامية وهي في مهد أمها اي قبل ان قضي عليها بالتشتت والتنوع ودليلنا على ذلك ما بينها من المشابهة كما مرّ

القضية الثالثة

ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصولٍ ثنائية (احادية المقطع) تحاكي اصواتاً طبيعية

تشتمل هـذه الالفاظ على الاسم والفعل وما يشتق منهما. واللغويون يردون كلاً من الاسم والفعل الى اصول معظمها ثلاثية وبعضها رباعية ولا يرون هذه الاصول قابلة للرد الى أقل من ذلك وعندي انها قابلةٌ ولو بعد العناء

فالالفاظ او بحسب زعمهم الاصول الرباعية قد أجمعوا مؤخراً على انها ثلاثية مزيد فيها . وهذه الزيادة اما قياسية فتكون سيناً او شيناً في اول الكلمة والمزيدات تكون على وزن سَفعلَ او شَفعلَ وهذا الوزن من جملة مزيدات الثلاثي في اللغات الشرقية لكنه أُهمل في لغتنا وما ورد منه عدّوهُ رباعياً مجرداً . واما السريانية فحفظته كباقي المزيدات وهو كثير الورود فيها ونادر في العبرانية . فمن الالفاظ التي وردت على هـذا الوزن عندنا قولهم « سقلبهُ » اي صرعه من قلبهُ و « سَلغفهُ » بمعنى ابتلعهُ من لغفـهُ . و « سملجَ » اي جرع جرعاً سهلاً من ملج الصبيُّ امهُ تناول ثديها بأدنى فمه فرضع . و « شبرقَ » ملموح فيهِ معنى برقَ . ومن هذه الصيغة ما تستعملهُ العامة ولا اثر له في كتب اللغة كقولهم « سمهد » بمعنى مهـد و « شلهب » بمعنى

لهب وغير ذلك . ومن الرباعي المبتدإ بسين او شين اسماء كثيرة جميعها تتضمن معنى الطول والسعة

وقد تحصل هذه الزيادة بمضاعفة حرف او اكثر من الاحرف الاصلية كجلببَ وبلبلَ وقصقصَ وقطقطَ وصهلصلقَ وما شاكل . أو أن تكون حرفاً دخيلاً وهو في الغالب احد هذه الاربعة « ل م ن ر » فيكون في اول الكلمة كما في نبذرَ بمعنى بذرَ ولهذمَ كهذمَ بمعنى القطع ودحدرَ من حدرَ وغيرها . او في وسطها كسطلحَ من سطح اي اتسع وسلحفَ من زحفَ أو سحفَ برعط من بعطَ وخرمش من خمشَ وشربكَ وشنبكَ من شبكَ وشمرق من شرقَ ويقال فقع أصابعهُ وفرقعها . او في آخرها كقولهم الفعمل (الملآن) من فُعِمَ وبحثر بمعنى بحثَ وبعثر بمعنى بعث وسحفرَ اي مضى مسرعاً من سحف التي حفظت في زحف . وقطعنَ وقطعرَ من قطع وقس عليه . وقد تكون الزيادة على طرق أخرى لكنها لا تخرج بالحقيقة عن هذه الا فيما هو اجنبي كبعض الكلمات الفارسية ولا ضابط لها (منها الطست والخوان والسكرجة والجزذباج من الفارسية واكسيد والميكروسكوب والتلسكوب وأسماء أخرى علمية من اليونانية واللاتينية) وبعض ماكان على وزن فعلنَ هو من السريانية او العبرانية مأخوذة عن صفةٍ كشيطنَ من شيطان وقطرن من قطران وعربن من عربون وقد يصاغ الرباعيُّ من الفاظ اعجمية تعربت مثل « دولاب » فانها كلمة

فارسية مركبة من « دول » دلو و « آب » ماء ويريدون بها المنجنون التي تديرها الدابة ليستقى بها بما يشبه الساقية عندنا فشقّ المولدون منها فعلاً رباعياً فقالوا « دَوْلبَ فلاناً » اي دوَّرهُ الى مرادهِ وقس على ذلك

﴿ والاصول الثلاثية ﴾ هي الاكثر في اللغة فلذا كان للبحث فيها اهمية كبرى . وقد تبين مما تقدم ان الاصول الرباعية مزيدة والاصل فيها ثلاثي وأقول ان الثلاثي أيضاً مزيد والاصل فيه ثنائي غالباً وايضاحاً لذلك اقسم الادلة الى قسمين

أوّلاً : استقراء الفاظ اللغة العربية ومقابلتها
ويفيد غالباً في الاصول الفعلية

يرى الباحث في دلالة الفاظ العربيـة المدعوة مجردة ان للمعنى الواحد الفاظاً عديدة تتقارب لفظاً ويمكن تقسيم الفاظ المعنى الواحد الى مجموعات تشترك الفاظ كل مجموع منها بحرفين هما الاصل المتضمن المعنى الاصلي . والزيادة ربما نوعته تنويعاً طفيفاً مثاله : قطّ وقطبَ وقطفَ وقطعَ وقطمَ وقطلَ جميعها تتضمن معنى القطع الا ان كل واحدة منها استعملت لتنوع من تنوعاته فالثاني والثالث يتضمنان مع القطع معنى الجمع والخامس العض والسادس الشدة والاصل المشترك بينها قط وهو بنفسه حكاية صوت القطع كما لا يخفى . ويجانس قط قص ومنها قصمَ وقصلَ وقصبَ وقصرَ وقصفَ وقصا جميعها تفيد القطع . ويجانس قص قض ومنها قضّ وقاض وقضم وقضب وقضع . ويجانس قص كس ومنها كسّ وكسر وكسع وكسم والاولى والاخيرة من هذه

السلسلة تتضمن معنى الدق والفت ويجانس قصْ ايضاً جذْ ومنها جذَّ وجذب « يقال جذب الريق اذا انقطع » وجذرَ وجذف وجذمَ وكلها بمعنى قطعَ ويجانس جذ جز وهذه حكاية صوت المقص اذا جزَّ شعراً او صوفاً ومنه جزَّ وجزأ وجزر وجزع وجزحَ وجزلَ وجزمَ وجميعها من باب القطع . وتنوعات هذا المعنى تفوق المئات عدًّا وقد تصرفوا في استعمالها على طرق مختلفة حقيقةً ومجازاً وكلها ترد بالاستقراء الى اصل واحد هو حكاية صوت كما رأيت . وهكذا الحال في القسم الاعظم من كلمات اللغة فمن هب بمعنى ثار او هاج لنا هبَّ وهبجَ ضرب شديداً وهبذَ عدا واسرع في المشي وهبش بمعنى هبجَ وهبص الرجل نشط وعجل وقلق واخيراً هبا الفرس فرَّ . فترى ان جميعها يتضمن معنى ثار او هاج . و « هب » هي حكاية صوت اللهيب اذا نفخته الريح . ولنا بمعنى الدق والشد لتّ ولتب الناقة في انفها طعنها ولتحه ضربه ولتخَ مثل لطخَ والشيء شقهُ ولتده اي لكزه وهكذا لتزه ولتفهُ ولتمهُ كلها بمعنى الضرب والاصل المشترك بينها لتْ ويجانسه لطْ ومنها لطّ اي لزم وكتم والباب اغلقه والشيء به لصقهُ ولطأه اي ضربه على ظهره ولطأ بالارض لصق بها ولطثهُ ضربهُ وهكذا لطحَ ولطخَ ولطسَ ولطشَ ولطعَ ولطمَ ولطهَ وجميعها تنوعات معنى واحد . ولنا بمعنى الطلاقة واللطف والانبساط بس وبسأ وبسم وبسط وبسل وبسن اي حسنت سحنته وكلها ترد الى معنى واحد ومقطع واحد هو بس وربما كان الاصل فيه بش وهو من الاصوات التي ينطق

بها الانسان غريزياً عند الاستحسان كما لا يخفى . ولنا بمعنى النتوء والبروز نبَّ ونبت ونبثَ بمعنى حفر وكذلك نبش ونبج ونبذ ونبر ونبط ونبض ونبع ونبق ونبه « بمعنى اشتهر بالشرف » ونبا وجميعها تفيد النتوء والبروز والاخراج اما نبَّ فقد جاء في حديث الجدود يعمد أحدهم اذا غزا الناس فينب كنبيب التيس وقال في النهاية النبيب صوت التيس عند الفساد . والتفُّ والتفتُ وسخ الاظافر ويقاربه تفىء وتفلَ بصق وجميعها تشترك بمقطع « تفْ » وهو من الاصوات التي ينطق بها الانسان غريزياً عند القرف ومنها ايضاً التفن اي الوسخ وتفه قلَّ وخس . ومن ضروب الفتح لنا فقَّ وفقأ وفقح وفقر وفقص وفقش وفقس والعامة تقول فقع وجميعها تردُّ الى فق وهذه حكاية صوت القربة اذا شقت وهي ملآنة او ما شاكل

فنرى في ما تقدم من الامثال أن الحرف المزيد واقع في آخر الكلمة وهذا هو الاغلب الا انه قد يكون في الوسط أي بين الحرفين الاصليين كشلق من شق وفرق من فق وقرط من قط وقرص من قص وقرض من قض وشرق من شق ايضاً ولحس ولسع ولهس من لس . ويجانس فق بف ومنها برق وبعق . ولهط من لط بمعنى ضرب وقد يكون في أول الكلمة نحو رفت من فت ولهب من هب ورفض من فض ولمس من مس وفطح وبطح من طح ونذل من ذل وغلف من لف وقس عليها مما لا يسعف المقام في استيفائه . وسيأتي شرح ذلك باكثر ايضاح فيما بعد

كيف حصلت هذه التنوعات

كل من هذه التنوعات اما أن يكون حاصلاً من تركيب اصلين لكل منهما معنى في نفسه أو لا فاذا كان الاول كان حصوله على طرق – منها النحت اي ادغام كلمتين فاكثر الى كلمة واحدة كما مرَّ وهذا رأي بعض اللغويين في الرباعي ولا نرى مانعاً من اطلاقه على الثلاثي ايضاً لان بعض الافعال الثلاثية تقبل الحل الى اصلين لكل منهما معنى في نفسه نحو قطف ويفيد القطع والجمع والاصل فيه على ما أرى « قطْ لفْ » الاولى قطعَ والثانية جمع وبالاستعمال أُهملت اللام ونقلت حركتها الى ما قبلها فصارت قطفَ . و « قمش » اي جمع ما على الارض من الفتات فانها ترد الى أصلين قمْ وقش الاول بمعنى كنس والثاني جمعَ . فكانوا اذا أرادوا كنس شيءٍ ما وجمعه قالوا « قمْ قشْ » وبالتخفيف أُلغيت القاف الوسطى فقيل قمشَ . وهكذا في بعج فانها ترد الى « بعْ بج » ومثل ذلك كثير في الالفاظ الثلاثية وان استبعد بعضهم هذا التعليل فهو غير مستبعد عند من له شيءٌ من الاطلاع على خصائص الالفاظ وقابليتها للابدال والنحت . وزد على ذلك ان من يسلم بامكان حدوثه في الرباعي بنحت اربع او خمس كلمات الى كلمة واحده كقولهم بسملَ « قال باسم الله » وسبحل « قال سبحان الله » وهيللَ « لا اله الا الله » وحوْقلَ « لا حول ولا قوة الاَّ بالله » وحمدلَ « قال الحمد لله » وحيعل « قال

حي على الصلاة حي على الفلاح » وطلبق « قال اطال الله بقاءك » وجعلف « قال جعلتُ فداك » ودمعز « ادام الله عزك » لا يستبعد حدوثها في الثلاثي من كلمتين ولنا فيما تقدم عن لغة عامتنا دليل

أو يتم بواسطة الترخيم اي اهمال القسم الاخير من الكلمة تفنناً في اللفظ كقولهم « يا أبا الحكا » في « يا أبا الحكم » وامثال الترخيم كثيرة في العربية منها قولهم احتسى في احتسب وتجمّى في تجمع وتجنّى في تجنبَ وشجا في شجب وباهاه في باهجه واعتمى في اعتمد وتقنّى في تقنع واحتفى في احتفلَ وفصا في فصلَ ووصى في وصل وتمطّى في تمطط وتغضّى في تغضض وتدلى في تدلدل وتطلى في تطلطل والسادي في السادس وغيره مما يضيق عنه المقام . وعامة الشام يقولون « تعا » في تعال . فهل يبعد تركيب اصلين ثنائيين وتحولهما معاً الى اصل واحدٍ ثلاثي على طريق الترخيم

واذا لم يكن لكل من اللفظين معنى في نفسه فلا يخلو أن يكون لاحدهما أو لا فان كان الاول كان أحد اللفظين فعلاً والآخر حرفاً زيد اعتباطاً . وهو في الغالب احد هذه « ل م ن ر » وربما توهم الواضع في هذه الزيادة شيئاً من المبالغة او تنويع الفعل بما يطابق قصده نحو فض ورفضَ وهبَّ ولهبَ وشق وشلق وكنَّ وسكنَ وربما كانت هذه مزيدة سابقتها على نحو ما تقدم في صيغة سفعلَ وقس عليه . اما المضاعف والاجوف والناقص فتولدها اقرب من الجميع اذ لا فرق بينها وبين الاصل الا بمقدار الصوت لا بنوعه وسيجيء تفصيل ذلك .

واذا لم يكن لاحدهما معنى في نفسه اي ان لا يكون اسماً ولا فعلاً فلا يخلو ان يكون حرفاً وربما كان اسماً اوفعلاً في الاصل ولم يعد مميزاً الآن . ولدينا من هذا النوع بعض الكلمات العربية نقدمها مثالاً : من ينظر في لفظة « مال » بمعنى مقتنيات لا يخطر له الا انها اصل مستقلٌ ولكنها في الواقع مركبة من « ما » الموصولة ولام الاضافة فكانوا يريدون بقولهم « مالك » الذي لك أي مالك ومقتنياتك . ولكثرة الاستعمال اصبحت كأنها كلمة واحدة كما حدث في « اشرل . . » العبرانية فتحولت الى « شل » وقد خصت « مال » الآن بالدلالة على نوع النقود من المقتنيات على حين انها قد تستعمل بمعنى « شل » العبرانية اي « خاصة » وقد صرفوا هذه اللفظة وشقوا منها مشتقات عدة فقالوا ماله يموله مولاً اعطاه المال . ومالَ صار ذا مال وهكذا موّله صيرّه ذا مال واماله اعطاه المال وتموّل الرجل كثر ماله . ويقولون رجل مالٌ اي متموّل معطٍ ولا يبعد ان يكون مال يميل مأخوذ عنه فان الاصل في مؤدى هذه أحبَّ ورغب والمال أحب ما لدى الانسان . وهكذا اذا بحثنا عن « نور » أو « نار » فاننا نراها مركبة من أصلين فهي في العبرانية « أور » وفي الاشورية « أُرّ » ولنا في العربية ما يدلُّ على سابق وجودها على هذه الصورة فاننا نقول استأور فلانٌ اي عجل في الظلمة وهي على صيغة استفعل مصاغة من اصل ربما كان « آرَ » ونظراً لدلالة هذه الصيغة على الطلب والرغبة يرجح أنّ قصدهم باستأور فلانٌ في الظلمة انه اسرع يطلب النور . ولنا ايضاً « الأُوار » حر

الشمس والنار ومنها مجازاً العطش والدخان واللهب والجنوب جمعها « اور » ومن ذلك قولهم « الآر » اي العار . وربما كان الاصل في هذه اللفظة حكاية الصوت الطبيعي الذي يخرجه الانسان اذا لذعتهُ النار . اما النون فاما ان تكون بقية كلمة ذات معنى او انها لا معنى لها أُلحقت اعتباطاً من قبيل ما تقدم

وكذلك « ويل » فانها مؤلفة من « وَيْ » لفظ تأوُّه وهو من الاصوات الطبيعية ولام الاضافة والدليل على ذلك ان ما نعبر عنه بقولنا « ويلي » كان « ويل » كلمة واحدة يعبر عنه العبرانيون والسريانيون بقولهم « وَيْ لي » وقد وردت « وَيْ » وحدها مراراً في العربية كقولهم ُ ويك ، وما شاكل . ومع ذلك تراهم قد جمعوا لفظة « ويل » وصرفوها على المزيدات فقالوا ويَّل وتويَّل وتوايلَ واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منه مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة . وزد على ذلك انهم ركبوا من « وَيْ » عدة كلمات منها ويح وويب وربما كان اصلها « ويْ اب » للاستغاثة به وويخ ربما من « وي » اخ وويس وويه . ولم يكتفوا بذلك بل ركبوا من « ويل » قولهم « ويلمه » بمعنى داهٍ فيقولون لمن عرف بالدهاء « ويلمه » وهي منحوتة من ويْ لامه او ويلُ لامه . فتأمل

وهكذا يقال في الفعل الناقص « ليس » الذي هو بحسب الظاهر أصل مستقل فانه مركب من « لا » حرف نفي و « أيس » الدال على الكون المطلق فادغمتا معاً وكونتا كلمة واحدة كما رأيت . وهذا الاصل

« أيس » الدال على الكون المطلق واحد في اكثر اللغات المرتقية لا سيما القديمة ففي العبرانية « يش » وفي السريانية ܐܝܬ « إيت » وفي اللاتينية والسنسكريتية والفارسية واليونانية وفروعهن est وقد تركبت « إيت » السريانية مع « لا » النافية فكونت ܠܝܬ (ليت) لنفي الكون المطلق مثل « ليس » وهي تذكرنا بالحرف المشبه بليس أعني به « لات » ولا يخفى ان « ليس » من الافعال الناقصة فالظاهر انها كانت تكتب « لا أيس » ولا تستعمل الاّ منفية كما تكتب اخواتها ما دام وما برح وما انفك وما زال الخ ولكثرة الاستعمال خففت . وبناءً عليه كان يخشى ادغام هذه الافعال او نحتها الى كلمة واحدة لو لم تكن اللغة مدونةً ومضبوطة . ويقال نحو ذلك في لشا يلشو لشواً اي خسَّ بعد رفعةٍ فانها منحوتة من « لا شيء » ويوضح اصلها من مزيداتها فيقال لاشاه ملاشاة فتلاشى تلاشياً ضمحله وصيره الى العدم . والعامة تقول تلاشى المريض اي انحطت قوته وقارب الوفاة . اما قولهم « لشا » بمعنى خسَّ فيذكرنا بقول الفرنساويين بهذا المعنى تماماً lache .

وكثيراً ما تتكون افعالٌ من نحت بعض الجمل الندائية كقول العامة « ما تيالله » بمعنى « لماذا لا تمشي » والاصل فيها « يا الله » يقولونها عند الابتداء بالعمل ثم صاغوا منها فعلاً لنحو هذا المعنى ولكنه لا يزال في اول تولده فلم يتكون منه غير هذه الصيغة . هذا ما وصلنا اليه على طريق مقابلة الفاظ اللغة فلننظر في القسم الثاني من الادلة

ثانياً – استقراء بعض احوال اللغات الاجنبية وحملها بقياس التمثيل على لغتنا

جُمعت اللغة العربية بعد الاسلام بقليل . وأقدم ما لدينا من الكتابات هو القرآن . وقد وصل الينا بعض الاشعار المنظومة قبل ذلك الحين بزمن يسير ولا فرق بينها وبين اللغة المجموعة بما يستحق الذكر . وخلاصة القول ان العربية يوم جُمعت كانت على جانب عظيم من الارتقاء والتهذيب وقد أُجبر المتكلمون بها على المحافظة على نسقها محافظة تامة بحيث ان اللغة الكتابية اليوم تكاد تكون مثل لغة العرب قبل الاسلام على اننا لولا محافظتنا على كتب اللغة كما سبقت الاشارة اي لو اتبع كل جيل اصطلاحات اهله لأمست اللغة العربية الفصحى لدينا الآن لغةً غريبة لا نفهمها ولتنوعت وتعددت لغات الكتابة اكثر كثيراً مما هو الواقع في لغة التكلم ولتعذر على السوريين فهم كتابة المصريين والمصريين كتابة المغاربة وبالعكس وبعبارة أخرى لتفرعت اللغة العربية فروعاً يختلف بعضها عن بعض اختلافاً لا يقل عما بين فروع اللغة اللاتينية (الفرنساوية والطليانية والاسبانيولية والسويدية وغيرها) ولاضطررنا في فهم كتابة اسلافنا وزملائنا لدرس اللغة العربية القديمة وفروعها الحديثة كما هو الحال في فروع اللغة اللاتينية . فبناءً على ما تقدم ليس لدينا من المواد ما يعيننا في تتبع اصل الفاظ لغتنا كما يرام فعسى ان ينجلي لنا ذلك من النظر الى اللغات الاخرى

معلوم ان اللغة تكون في اول نشأتها وأبسط احوالها مؤلفة من الفاظ قليلة العدد كافية لتفاهم المتكلمين بها بالنسبة لبساطة احتياجاتهم فاذا ارتقت احوالهم واحتاجوا الى كلمات جديدة يعبرون بها عن معانٍ لم تكن في ذهنهم من ذي قبل ركبوا من الكلمات التي لديهم ما يسد عوزهم . وقد يسلكون في ذلك مسلكاً آخر . فان سكان المكسيك القدماء لما رأوا السفينة لأَول مرة ولم يكونوا يعرفونها قبلاً ولم يكن لها في لغتهم اسم دعوها « اكالي » اي بيت مائي . واهل ميسوري لم يكن عندهم من الادوات الا الصوانية فاول ما جيء اليهم بالحديد والنحاس دعوا الاول « وتساسبسا » اي حجر اسود والثاني دعوهُ « وتساهيسبسي » اي حجر احمر . ولما رأى بعض هنود اميركا الفرس لأَول مرة دعوه بما مفادهُ « كلب سحري » وآخرون دعوه بما هو اغرب من ذلك فقالوا ما تعريبه « خنزير يحمل انسان » ومن غرائب اللغة الصينية تعبيرهم عن قولنا « فضيلة » باربع كلمات معاً وهي « امانة ـ شفقة ـ اعتدال ـ عدالة » وعن الوالدين بقولهم « اب ـ ام » . والمكسيكيون اول عهدهم بالماعز وضعوا لها اسماً لا يقل غرابة عن تسمية زملائهم الصينيين وهو بلغتهم « كوا كواوْتنتسون » وتعريبها حرفياً « رأس شجرة شفة شعر » فقصدوا بقولهم « رأس شجرة » القرون و « شفة شعر » اللحية وبعبارة أخرى الحيوان ذو القرون واللحية . واهل ملقًا يدعون السهم

« اناك بناه » اي ولد القوس[1] وفي الفارسية « آب ودانة » المعيشة ومعناهما حرفياً « الماء والحبُّ » والاوستراليون يعبرون عن « متفق » بقولهم « غوردوجينيال » اي « قلب واحد اتى » ومن المؤكد ان هذه الكلمات لم يمرّ عليها بعض السنين من وضعها حتى تصرف المتكلمون بها على طرق مختلفة نحتاً وابدالا وقلباً بحيث لم يعد تمييزها سهلاً . فكيف يمكنهم بعد ان تبلغ لغتهم مبلغ لغتنا من الارتقاء والتهذيب ان يخطر لهم او ان يحلموا ان تلك المسميات مركبة أصلا من الفاظ ذات معانٍ مستقلة

والنحت يفعل في تغيير صور الكلمات فعلاً عجيباً يكاد يفوق التصديق . فان المدنجو من قبائل افريقيا الجنوبية كانوا يعبرون عن « إخت » بقولهم « مي بادو دنغو موسو » ومفادها حرفياً « انثى ولد امي » لكنهم نحتوها بالاستعمال فصارت « مبادنغوسو » وأغرب من ذلك ان زنوج « غريبو » يعبرون عن حاسة الغضب بقولهم « اه يا موكراوودي » اي « قد نتأ عظمٌ في صدري » لكنهم يسرعون في لفظها فتسمع « يا مكروري » والاغرب من كل ذلك ان سكان جزيرة « ڤا كوفر » لما شاهدوا رجلاً افرنجياً لاول مرة كان ذا لحية

(١) وفي العربية كثير من ضروب هـذه التسمية كقولهم ابنة العنب للخمر وابنة الحان لها أيضاً غير ان هذه التسميات حديثة الوضع عندنا . وقد وضعت تفنناً في البيان . والدليل على ذلك أن لهذه المعاني كلمات أخرى مفردة في لغتنا أما في اللغات الاخرى فهي التسمية الوحيدة غالباً

طويلة فوضعوا له في لغتهم اسماً هو « يكبيكوكسالكوس » ومفادها حرفياً « طويل ـ وجه ـ شعر ـ رجل » ثم حرفوها ونحتوها حتى صارت « يكبوس » فتأمل

ومثل هذه الامثلة كثير في الطائفة الآرية ومعظمها مركب من كلمات لاتينية او يونانية او غيرها . ومن لهُ المام في احدى هـذه اللغات يعلم ذلك . ونأتي هنا بمثَل او اثنين فقط للتمثيل فان fortnight الانكليزية منحوتة اصلاً من كلمتين انـكليزيتين forteen night اي ١٤ ليلة و double بالفرنساوية والانكليزية « مضاعف » اصلها من كلمتين لاتينيتين duo plic اي « ضعفين » وكذلك quadruple, triple واخواتهما فانها مركبة من plic المتقدم ذكرها والاعداد اللاتينية quatuor, tre الخ. والاصول الفعلية المركبة هي اكثر كثيراً في هذه اللغات وقلما تجد فعلاً غير منحوت من أصلين فاكثر الواحد في الغالب فعل والآخر اداة . وهذا النوع من التركيب خاص بهذه الطائفة وهو اشهر من ان يذكر لكننا نذكر هنا مثلاً واحداً يبين مقدار ما وصل اليه هـذا التركيب : ركب اللاتينيون من vox « صوت » سلسلة افعال واسماء . منهـا vocabulum كلمة revocabulum قابل النقض و irrevocabilis غير قابل النقض وقس عليه

ومن طرق التعبير في اخوات العربية ما ربما يلقي على بحثنا نوراً فإن العبرانيين يعبرون عن قولنا « فكَّر » بقولهم ما تعريبه « قال في قلبه » وعن « عائلة » بقولهم « بيت أب » فجميع هذه الكلمات المركبة

يمكن ان تنحت بالاستعمال الى كلمات مفردة لا يسهل تتبعها الى اجزائها المؤلفة هي منها

هذا ولا يخفى ان قسماً عظيماً من الافعال العربية أصلها أسماء جامدة ربما كانت في الاصل أعجمية معربة والغالب فيها أن تكون رباعية كقولهم « فلسف » وتفلسف الرجل تحكَّم (من الحكمة) وتحذق بالشيء والاصل فيها كلمة يونانية هي philosofia الفلسفة وهذه مركبة من أصلين philia حب sofia الحكمة . وأمثال هذه الكلمات كثيرة في العربية وأكثرها مأخوذ عن الفارسية أو اليونانية أو اللاتينية . واللغة لا تنفك عن الاستعارة في كل آن وزمان فان العامة تقول « ستف » بمعنى رتب صفوفاً بعضها فوق بعض وهي لفظة كثيرة الاستعمال بينهم ولا نرى لها ذكراً في كتب اللغة فالظاهر أنها معربة من stow التي هي و stuff من أصل واحد فيرجح ان عامتنا أخذت هذا الفعل عن الانكليز . ولو حصل ذلك قبل أن جمعت اللغة لكانت هذه اللفظة معدودة الآن بين الالفاظ العربية ولما تجرأنا على القول بأنها مأخوذة عن لغة أعجمية . فما المانع من حصول مثل ذلك في اللغة قبل أن ُجمعت وهي اذ ذاك أكثر قبولاً لمثل هذه الاستعارات نظراً لاحتياجها الى الالفاظ ولانها لم تكن مدونة محدودة محظور على أهلها استعمال الالفاظ الاعجمية

وفي اللغة العربية ألفاظ تعدّ من أعرق الكلم في العروبة وما هي منها في شيء . من ذلك لفظ « النبي » بمعنى الرسول ونحوه فقد

شقها صاحب القاموس من « نبأ » وما في معنى هذا الفعل ما يدلّ على النبوءة الا ان يقال بتجليه في مشتقاتها مثل تنبأ ونبّأ ونابأ فان فيها معنى الاخبار . ويلوح لنا ان هذا المعنى مكتسب من لفظ النبي اي انها مشتقة منه وأما هو فيغلب في اعتقادنا انهُ مصريّ قديم مركب من لفظين « نب » و « ي » ومعناهما معاً رئيس البيت او شيخ العائلة . والظاهر ان اليهود اقتبسوا هذه اللفظة من المصريين القدماء اثناء سكناهم مصر واستخدموها اولاً لهذا المعنى فسموا بها الآباء الاولين (راجع المزامير ١٠٥ : ١٥) ثم أطلقوها على الانبياء كافة . وأخذها عنهم العرب لهذا المعنى كما أخذوا غيرها من الآداب الدينية قبل الاسلام - وكان اليهود يسمون النبي قبلاً « الرائي » يريدون به الذي يرى الغيب

ومنها « السراب » وهو ما تراه نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالارض وقد شقها صاحب القاموس من « سربَ » الماء جرى فقال « سمي بذلك لذهابه على وجه الارض » - وهي كلمة فارسية مؤلفة من « سير » مملوء و « آب » ماء اي « مملوء ماء » وهو المراد بالسراب

ومنها « الملَك » واحد الملائكة فانهُ لفظ عبراني الاصل بصيغة اسم المفعول من هالاك ارسل ومعناها الرسول وهو المراد بها في العربية . وقد شقها صاحب القاموس ايضاً من آلك « العربية » . ومن هذا القبيل الفاظ كثيرة اصلها اعجمي وقد تعربت ونسي أصلها

والخلاصة اننا نستدل من امكان تجريد قسم عظيم من الاصول الثلاثية الى أصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية ومن كون الفاظ اللغة من شأنها التغير والتنوع لفظاً ومعنًى على ان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها الى اصول ثنائية احادية المقطع تحاكي اصواتاً طبيعية

القضية الرابعة

ان جميع الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظ واحد أو بضعة الفاظ

ان الالفاظ المطلقة هي التي يمكن الدلالة بواحدة منها على أي نوع من الموجودات كما سبقت الاشارة وهي تشمل الضمائر واسم الاشارة واسم الموصول ويرى الباحث المتأمل في أحوال هذه الالفاظ في لغات مختلفة انها تكاد تكون واحدة في جميعها وانها من الادلة الواضحة على وحدة الاصل فيها . وتحسن الاشارة عند الاقتضاء الى اوجه المشابهة بينها لعلها تسعفنا في تتبع الاصل المتفرعة عنهُ كل هذه الفروع . وسنتوخى في ذلك الاختصار بقدر الامكان

فلنبحث أولاً في الضمائر ولنرسمها في كلٍّ من اللغات السامية للمقابلة

اذا امعنت النظر في الجدول الآتي رأيت الضمائر تتميز بعضها عن بعض بالعدد والجنس والشخص وان تمييز العدد قائم بزيادة ميم المذكر ونون غالباً للمؤنث لكنها لا تقع تحت حكم قاطع اذ انهما تتبادلان في احوال جمة وهي واحدة في السريانية والقياس يقتضي ان تكون الميم في العبرانية للمذكر والنون للمؤنث لكن هذه الاخيرة كثيراً ما وردت في مكان تلك وليست هي في كل حال الاّ مميزاً للعدد لا دخل لها في مادة الضمير لانها تستعمل حيثما احتيج للدلالة على الجمع سواء كان في الاسم او الفعل او غيرهما كما مرّ

وأما مميز الجنس ويحصل به التمييز بين المذكر والمؤنث فانه قاصر في الغالب على الحركات كما تقدم . ويتضح ذلك جلياً في النعوت التي تؤنث وتذكر فاننا بقولنا «حسن» و «حسنة» لا نميز بين الجنسين الاّ بالفتح المسند بالتاء التي تلفظ هاءً عند الوقف . والارجح ان أصل التأنيث في العربية ان يكون بالالف مقصورة أو ممدودة كما تعلم . والعبرانيون يؤَنثون بالفتح المسند بالهاء وهي تقلب تاءً عند التحريك أما في السريانية فتسند هذه الفتحة غالباً بالالف . هذا ما يقال عن

تنبيه اول : ترى في الجدول الذي يلي ان النون في مطلق المخاطب في السريانية تكتب ولا تلفظ ويعبر عن ذلك برسم خط تحتها والكاف في السريانية والعبرانية تلفظ غالباً خاءً

تنبيه ثان : ترى ايضاً ان هذه الضمائر ليست كل ما يستعمله القوم بل هو الاكثر وروداً

الضمائر في أمهات اللغات الساميّة

	العربية			السريانية			العبرانية		
	رفع منفصل	رفع متصل	نصب متصل	رفع متصل	رفع منفصل	نصب متصل	رفع منفصل	رفع متصل	نصب متصل
المتكلم	أنا	تُ	ي	(انا)	(ت)	ـܝ (ي)	אנכי (انكي)	תי (تي)	י (ي)
المخاطب	انت	تَ	كَ	(انت)	(ت)	ـܟ (كَ)	אתה (أته)	ת (تَ)	ך (كَ)
المخاطبة	انتِ	تِ	كِ	(انتي)	(تي)	ـܟܝ (كي)	את (ات)	ת (تْ)	ך (كْ)
الغائب	هو		هُ	(هو)		ـܗ (هِ)	הוא (هوا)		הו (هو)
الغائبة	هي		ها	(هي)		ـܗ (هَ)	היא (هيا)		ה (هَ)
المتكلمين	نحن	نا	نا	(حنَنْ)	(ن)	ـܢ (ن)	אנחנו (انحنو)	נו (نو)	נו (نو)
المخاطبين	انتم	تم	كم	(انتون)	(تون)	ـܟܘܢ (كون)	אתם (أتمّ)	תם (تم)	כם (كم)
المخاطبات	انتنّ	تنّ	كنّ	(انتين)	(تين)	ـܟܝܢ (كين)	אתן (أتن)	תן (تن)	כן (كن)
الغائبين	همّ	وا	هم	(هنون)	(اتون)	ـܗܘܢ (هون)	הם (همْ)	ו (و)	הם (هم)
الغائبات	هن	ن	هنّ	(هنين)	(اتين)	ـܗܝܢ (هين)	הן (هن)	ו (و)	הן (هن)

النعوت أما في الاسماء فقد تكون التاء علامة التأنيث وقد تكون هذه أو تلك تبعاً لمقتضيات العوامل الا الحركة فانها من الفتحة فما دون الى الكسرة . وقد غلبت الكسرة في بعض الضمائر علامة للتأنيث وقد أُشبعت في بعض الاحوال حتى كتبت ياء كما في « هي » العربية والسريانية

فتمييز العدد والجنس ليس أصلياً في اللغة وقد مرّ في شرح القضية الثانية ما يكفي من هذا القبيل وأضيف الى ذلك ان العبرانيين كثيراً ما استعملوا ضمير الغائب المذكر لكلا الجنسين وخصوصاً في أقدم كتابات القوم . وربما لوحظ هذا الامر في اكثر اللغات أول نشأتها فان معظم لغات البشر لا تمييز في ضمائرها بين المذكر والمؤنث الا في ضمير الغائب لان المتكلم عن شخص غائب يحتاج الى تعيين جنسه أما المتكلم عن شخص حاضر فقلما يحتاج الى مثل ذلك واذا تكلم عن نفسه كان في غنًى عن تعيين الجنس على الاطلاق

اما تمييز الشخص فانهُ أقدم في اللغة . وهناك ملاحظة لا بد من ايرادها قبل الشروع في البحث عن مميزات الشخص اعني النون الملحقة في اوائل الضمائر والظاهر انها عارضة عليها بدليل وجودها في الجميع على السواء اما مؤداها فيصعب الحكم في شأنه على اني لا ارى مانعاً في كونها تفيد التوكيد او التعريف . وربما كانت وان التوكيدية من اصل واحد فان النون او الميم في اللغة المصرية القديمة هي اداة للتعريف والتوكيد معاً كما مرّ

واذا شوهد بين هذه الضمائر ما هو خالٍ من هذه النون لا سيما المختص منها بالغائب فلا يعتد به اذ لا يخلو انها لم تدخل عليها او انها دخلت وفقدت كما جرى بها في ضمير المخاطب في العبرانية . على ان الاصل على ما أظن وجود النون في جميعها كما هو الحال في اللغة المصرية القديمة . أما العربية فقد حفظت النون في جميع الضمائر الا الغائب والسريانية حفظتها كالعربية لكن خطاً لا لفظاً

أما الطائفة الآرية فلا أثر لهذه النون في ضمائرها ولعلها كانت قبلاً وذهبت منها وقد تركت الميم m في ضمير المتكلم اثراً يشير الى سابق وجودها

فاذا جردنا الضمائر من مميزات العدد والجنس والنون الزائدة يتضح ان الاصل المختص بالتكلم على اطلاقه مقطعٌ حاقي محصور بين الياء والكاف فانه « انا » او الياء في العربية والسريانية و « أُنكي » تلفظ « انخي » في العبرانية و anok او a في المصرية القديمة و « أنكو » او « يا » او « ا » في الاشورية و ego في اللاتينية و ego و egon في اليونانية و aha او ahom في السنسكريتية و i في الانكليزية و ich في الجرمانية . فترى انك اذا جردت النون حيثما وجدت يبقى الضمير مقطعاً محصوراً بين الياء والكاف

أما ضمير الرفع المتصل في العربية واخواتها فهو التاء وهذه مبدلة من الكاف وقد أشرنا في ما تقدم الى وقوع الابدال بين هذين الحرفين نظراً لتقاربهما في حكاية الصوت ويؤيد ذلك ان هذه

التاء لا تزال كافاً في اللغة الاشورية فقـد كان الاشوريون يقولون « سَكنكُ » بدلاً من قولنا « سكنتُ »

وقد رأيت ان المقطع الحلقي المختص بالمتكلم فقـد من العربية والسريانية في المفرد لكنه لم يزل محفوظاً في الجمع « حاءَ » ففي العربية « نحن » وفي السريانية « حنَن » أما في العبرانية فقد رأيت انهُ حفظ في المفرد والجمع لكنه فقد من هذا الاخير في أزمنتها المتأخرة فان ضمير المتكلمين كان في العبرانية في أول أزمانها « انحنو » ثم بكثرة الاستعمال أسقطوا لفظ الحاء أحياناً فقالوا « انو »

وزعم بعضهم ان النون هي الاصل في ضمير المتكلم اعتماداً على تغلبها في جمعه وعندنا ان هذه انما هي نون الجمع وان وجدت وحدها في بعض الاحوال لان الحاء او ما يقاربها نظراً لكونها من الاحرف الحلقية فهي سريعة الزوال . ومع ذلك فانك تراها ثابتة في الضمائر المنفصلة المختصة بالمتكلم في سائر اللغات الشرقية الاّ في المفرد من العربية والسريانية وقد بطل استعمالها في سائر الضمائر المتصلة لفظاً وخطاً لكنها قد تظهر خطاً في بعض أحوال التصريف في السريانية

أما الداعي لكون me او أحد تنوعاتها ضميراً مفعولاً للمتكلم المفرد في اللغات الآرية فغير معلوم وربما كانت هذه الميم مبدلة من النون الزائدة كما سبقت الاشارة . أما المقطع الحلقي الذي قلنا انه الاصل المختص بضمير المتكلم فقد فُقد من هذه الطائفة كما فقـد من الجمع في غيرها لكنه ترك أثراً يشير الى سابق وجوده مرافقاً لهذه

الميم مثل mihi في اللاتينية فانها ضمير المتكلم المفرد وفي حالة الجر تلفظ « ميكي »

فينتج مما تقدم ان الاصل في ضمير المتكلم على اطلاقه مقطعٌ حلقي محصور بين الياء والكاف وانه اكثر ظهوراً في المفرد . أما في الجمع فالنون اكثر وروداً في اكثر اللغات الشرقية والآرية لكنها ليست من أصل الضمير بل هي نون الجمع

أما ضمير المخاطب فاذا جرد من مميزات العدد والجنس ومن النون الزائدة اتضح جليا ان الاصل فيه التاء أو أحد تنوعاتها . واذا أعدت النظر الى الجدول رأيت النون الزائدة في هذا الاصل غير ثابتة في جميع اللغات الشرقية على السواء فانها في « أنت » مثلاً تكتب وتلفظ في العربية (وهكذا في الكلدانية والمصرية) وتكتب ولا تلفظ في السريانية ولا تكتب ولا تلفظ في العبرانية وبناءً عليه فلا يعتمد عليها متى وجدت وانما الاعتماد في المخاطب على التاء فهي الاصل في جميع أوجه تصريفه ويؤيد ذلك حالته فيما بقي من اللغات فانها التاء أو أحد تنوعاتها في سائر اللغات الآرية فهي في اللاتينية tu وفي اليونانية su (والسين تبدل تاءً وبالعكس كما رأيت) وفي الفرنساوية tu واخواتها وفي الانكليزية thou وفي الجرمانية tu او du وفي السنسكريتية tua وفي الفارسية « تو » . ومثل ذلك في ما بقي من اللغات السامية والمصرية . في الاشورية « أتّا » وفي الكلدانية « انتَ » وفي المصرية القديمة entuk وفي القبطية ntok

أما الكاف في ضمير النصب المتصل فمبدلة من التاء وقد رأيت عكس ذلك في تاء المتكلم . وزد عليه ان المصريين القدماء قد أبدلوا ضمير الرفع المتصل كافاً أيضاً فهم يقولون مثلاً « قتلكَ » بدلاً من « قتلتَ »

والخلاصة ان الاصل في ضمير المخاطب التاء فذكَّرت وانثت وجمعت وتنوعت تبعاً لما اقتضته أحوال الناطقين بها

أما « هو » ضمير الغائب فالاصل فيه الهاء كما يظهر من مقابلة اللغات السامية ومثل ذلك في اللغات الآرية فهو في اليونانية i وما يركب منها وفي اللغات الجرمانية hua و hu و hue و ho و he و hei وفي الفارسية « وي »

فبناءً عليه يرجح ان الهاء هي الاصل في جميع أحوال ضمير الغائب فقد أنثت بالكسر فصارت « هي » وجمعت بالميم او النون فصارت هم او هن الخ . والقضية لا تحتاج الى زيادة ايضاح

اسم الاشارة واسم الموصول

واسماء الاشارة مرجعها الى مقطعي « ها » و « ذا » ومنهما يتركب « هـذا » و « هاته » و « ذاك » و « تلك » و « ذينك » و « تينك » وما شاكل[١] . ومنهما أيضاً نشأ اسم الموصول فان « أل »

(١) يظهر ان كاف الخطاب الملحقة في اواخر هذه الاسماء مأخوذة من ضمير المخاطب ويؤيد ذلك انها تثنى وتجمع مثله فيقال تلك وتلكما وتلكم وذلك وذلكما وذلكم الخ

الموصولة والتعريفية من المرجح عندي انها مأخوذة عن « ها » بدليل كون هذا المقطع هو وحده اداة التعريف في العبرانية . على ان نحويي اللغة العبرانية يقولون بوحدة الاصل في « أل » المشار اليها في اللغتين العربية والعبرانية وبناءً على هـذا القول زعموا ان الاصل في الاداة العبرانية « هل » قياساً على العربية وقالوا ان اللام لا تظهر خطاً وانهُ يعوَّض عنها لفظاً بتشديد الحرف الاول من الكلمة الملحقة هي بها فاذا أرادوا تعريف בית (بيت) مثلاً قالوا הבית (هبيت) بالحاق الهاء محركة بالفتح في اوله وتشديد الباء فتعليلاً لمذهبهم يقولون ان اللام تدغم بالحرف الاول ويعوض عنها بالتشديد وعندي انهم أصابوا بوحدة أصلهما ولكن ربما لم يصح زعمهم بان الاصل في كليهما (هل او ال) اذ ان اللام لم تظهر في العبرانية لا لفظاً ولا خطاً الا في كلمة واحـدة وهي اسم موصول اعني הלזה (هلزي) وهذه قليلة الورود جداً في كتاباتهم فالارجح عندي انها مأخوذة من العربية اذ انها والاسم الموصول « الذي » شيء واحد لفظاً ومعنًى . أما التشديد المرافق لاداة التعريف في العبرانية فربما قصد به التأكيد او توضيح الاشارة

فبناءً عليه يرجح ان الاصل في « ال » العربية « ها » التنبيه كما هو الحال في العبرانية أما اللام فقـد دخلت عرضاً لاسناد الحركة واللام كما لا يخفى من الاحرف (ل م ن ر) التي كثيراً ما تدخل في اللفظ اسناداً لحركة أو مقطع كما مرّ

ومن الآثار التي تدل على سابق استعمال « ال » للاشارة قولهم « اليوم » و « الساعة » بمعنى هذا اليوم وهذه الساعة . ومن الواضح ان التعريف انما هو ابن الاشارة لان ابسط طريقة لتعريف امر ما تقوم بالاشارة اليه . ويؤيد ذلك ان « ذا » التي هي اسم اشارة كما لا يخفى قد استعملت ولا تزال تستعمل للتعريف والموصول في قسم عظيم من اللغات السامية فان ذي في اللغة البابلية و « ذ » او « د » في اللغة السريانية هي الاداة الوحيدة للموصول والتعريف والاشارة ولا ريب ان « د » السريانية هي بقية « ذي » البابلية فلم يستعمل بنو طي « ذو » للموصول عبثاً . وما قولنا « الذي » الا حجة دامغة على ان الموصول انما هو ابن الاشارة

ولنا في الانكليزية the و this و that من اصل واحد الاولى للتعريف والثانية للاشارة والثالثة للاشارة والموصول

فثبت مما تقدم ان اسماء الاشارة والموصول هي في الاصل من اصل واحد مؤلف مقطعين (ها) و (ذا) او الهاء والذال

فهل من علاقة بين هذا الاصل والضمائر

قلنا ان التاء هي الاصل في مطلق المخاطب فنسبتها لذال الاشارة لفظاً لا تحتاج الى دليل لان الدال والذال والتاء والسين والشين كثيرة التبادل بعضها من بعض كما تقدم وهذا التبادل جارٍ معظمهُ قياسياً في الادغام كما لا يخفى . ويظهر باجلى وضوح في اللغات الآرية فان الكلمات المشتركة الاصل المستعملة في لغات مختلفة منها تؤيد قولنا لاننا نرى

ان d في اللاتينية تبدل t في الانكليزية و z في الجرمانية نحو decem عشرة و domare داجن فانهما في الانكليزية ten و tame وفي الجرمانية zehn و zahm والفرنساويون يكتبون tion ويلفظونها sion وعندهم elider و elision من اصل واحد . ومن قواعد اللفظ في اللغة اليونانية ان التاء متى وقعت بعد النون تلفظ دالاً وامثال ذلك كثيرة

فبناءً عليه لا يكون ثم مانع في وحدة الاصل لفظاً

اما وحدتهُ معنىً فمرجحة ايضاً لأن الدلالة المشتركة بينهما هي الكون المطلق فالظاهر ان هذا هو الاصل في جميع تنوعاتها لانهُ يدل عليه في جميع لغات البشر بالتاء او احد تنوعاتها كما سبقت الاشارة . فان هذه التاء تتضمن معنى الكون المطلق في ܐܝܬ (ايت) السريانية ويش العبرانية وايس العربيـة و est اللاتينية و es اليونانية وايت التركية وهـذه متى تحركت تقلب دالاً . و tu وفي المصرية القديمة تستعمل بمعنى ou في الفرنساوية . ثم ينقل معناها من الكون المطلق الى ما يقاربهُ اعني الذات وهي تطلق على كل موجود فتقوم مقام اي نوع من الموجودات حسياً كان او عقلياً وهي ذات في العربية ربما كانت مركبة من ذا (وايت) את (ات) في العبرانية و ܝܬ (يت) في السريانية و (أت) في الكلدانية و idem في اللاتينية و autos في اليونانية و tes في المصرية القديمة . ثم تدرَّج معناها من الدلالة الذاتية المطلقة الى الاشارة المطلقة وهـذه في العربية (ذا) وفي العبرانية זה (زه) وفي السريانية (دا) وفي الاشورية (سو) وفي اللاتينية is وفي

اليونانيـة de او ide وفي الفرنساوية ce وفي الانكليزية this او that وفي القبطية te وفي المصرية القديمة tai . ومن الاشارة المطلقة نشأت الاشارة الى كل مسمى واداتها في العربية شيء وفي الفرنساوية chose وفي الانكليزية thing وقد حصل اثناء هذا الانتقال المعنوي تنوعات لفظية خصصوا بعضها للدلالة على القسم الاهم الاعظم بين الموجودات اعني الانسان فهو يدعى في العربيـة انس وفي العبرانية ايش وفي السريانية نش وفي المصرية القديمة se وخصصوا البعض الآخر بالدلالة الاشارية للمخاطب فقط فوصلت الينا على هيئة ضمائر وقد تكلمنا عنها بالكفاءة . وقد تنوع من اسماء الاشارة الموصولات واحرف الاضافة فالاولى قد تكلمنا عنها ما يكفي اما الثانية فلها في العربية « ذو » ومشتقاتها وفي العبرانية ايش وفي السريانية (د) وفي بعض اللغات الآرية de وتنوعاتها

فبناء على كون ضمير المخاطب واسماء الاشارة والموصولات هي جميعاً الفاظ مشتركة الدلالة وكونها قابلة التعويض بعضها عن بعض في اللغة الواحدة وكونها متقاربة لفظاً في سائر لغات البشر يرجح انها في الاصل لفظة واحدة بمقطع واحد . ونظراً لكون التقارب اللفظي يحصرها في الاحرف السنانية يرجح ان ذلك الاصل هو التاء متحركة وان الاصل في دلالتها الكون المطاق وان منها تولدت جميع هـذه التنوعات لفظاً ومعنىً تبعاً لناموس الارتقاء العام

وقد اخترت التاء من بين اخواتها لانها الاسهل لفظاً ولا

يصعب على ناطقٍ التلفظ بها وقد تقدم انها موجودة في سائر لغات البشر . وعليه يظن ان المقطع الاول الذي يتلفظ به الاطفال انما هو هذا ويرجح ذلك ان (تت) في اللغة المصرية القديمة تفيد قولنا (تكلم)

اما اسم الاشارة (ها) فبينه وبين ضمير مطلق الغائب نسبة قريبة اما لفظاً فلأن الاصل في كليهما الهاء كما علمت واما دلالةً فلاننا نقصد بكلٍّ منهما ما ليس بالمتكلم ولا بالمخاطب ولم تزل اسماء الاشارة في كثير من اللغات تستعمل حيثما نستعمل نحن ضمير الغائب ولا أرى لزوماً لتعداد البراهين على صحة ذلك

وهناك امر آخر لا يخلو ذكره من فائدة اعني ان بين كاف المتكلم وتاء المخاطب وهاء الغائب نسبة قريبة لفظية ومعنوية كما لا يخفى

وجملة القول يرجح كل الترجيح ان الالفاظ المطلقة مهما تعددت اشكالها ودلالاتها لا تخرج عن كونها ناشئة من لفظ واحد او بضعة الفاظ من جملتها التاء والله اعلم

القضية الخامسة

ان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابهٍ في الصور الذهنية

معلوم ان في اللغة قسماً عظيماً من الفاظها ولا سيما الافعال مما يستعمل للدلالة الحسية والمعنوية على السواء فبقولنا « فَصَلَ » قد نقصد الدلالة الحسية نحو « فصل زيدٌ الشيء » اي قطعهُ وابانهُ . او المعنوية نحو « فصل الحكم الخصومات » او « فَصَلَ المولود عن الرضاع » اي فطمهُ . فلا يخلو ان تكون احدى هاتين الدلالتين اصلية حقيقية والاخرى فرعية مجازية . وعندي ان الدلالة الحسية هي الاصل والمعنوية الفرع حُملت مجازاً لتشابه في الصور الذهنية لان المحسوسات اول ما تستلفت انتباه الانسان وهي سابقة في ذهنهِ على المعنويات لانهُ في ابسط احوال عيشهِ لم يكن في احتياج الاَّ للمعاني الحسية ففي اول استعماله « قطعَ » لم يكن يريد بها الاَّ القطع الحسي لكنه بعد ان ارتقى في الحضارة وارتقت تصوراتهُ حدثت له معانٍ جديدة بينها وبين القطع مشابهة ذهنية كقولنا « قطع في الامر » اي جزم « وقطع الحوض » اي ملأَه الى نصفهِ ثم قطع الماء فحملها عليها مجازاً . ويؤيد ذلك حالة اللغات الدنيا فانها تقل فيها الدلالة المعنوية كلما انحطت الى ان تصل الى ما يكاد يخلو منها بالكلية . ولا يخفى ان

هذا التحويل جارٍ في لغتنا الان ولن يزال الى ما شاء الله

فمن الالفاظ ما قد خسر الدلالة الحسية بالكلية نحو قولنا « قضى » بمعنى حكم والاصل فيها القطع الحسي وهي من سلسلة « قَضْ » كما تقدم . ومنها ما لم يزل يستعمل لكليهما نحو « عقلَ » بمعنى فهم مأخوذة من عقلَ الناقة اي ربطها . و « ادرك » الاصل فيها البلوغ الحسي فيقال ادرك فلان الفرس اي لحقه و « بلغَ » وضعت اصلاً للدلالة على الوصول الحسي فقط كقولهم « بلغ فلان المحلة » اي وصلها وقد استعملت كما استعملت « أدرك » والاصل في معنى الفصاحة قولهم « فصح اللبن » اذا ذهبت رغوته ثم قيل فصحَ . وأصل «الرأي» من رأى وهكذا الرؤية . وكذلك الحال في « عرف » فان اصلها من « العرف » اي الرائحة . ومنها ما هو في اول انتقالهِ نحو « قطعَ » و « ملأ » والاصل في هذه الاخيرة الملء الحسي كالماء وما شاكل وقد استعملت مجازاً فيقال « ملأَ فلاناً على الامرِ » اي ساعدهُ وشايعهُ و « هلك » بمعنى مات وفُقِد والاصل في معناها « الذهاب » وهي كذلك في سائر اللغات الشرقية . و « الشتاء » مأخوذ من « شتا » في السريانية اي شرب فاستعملت اولاً لريّ الارض بالمطر ثم اطلقت على المطر عينه ومنه تحوَّل معناها الى الفصل الذي يحصل فيه المطر . و « غَرُبَ » الاصل في دلالتها النزول لانها في الاشورية « عرب » ومعناها نزل ومنها غربت الشمس اي نزلت

وقد تتنوع دلالات الالفاظ على طرق مختلفة تبعاً لتصورات

الناطقين بها وتنوعها فاذا اختلف رأيهم في شأنٍ فذهبوا فيه الى خلاف ما ذهب سلفاؤهم احتاجوا للتعبير عن هذه التصورات الحديثة الى الفاظ حديثة . فهم في مثل هذه الاحوال يأخذون من الالفاظ ما يقرب دلالةً مما يحتاجون اليه فتبقى هذه الالفاظ اثراً يشير الى ما كان عليه سلفاؤنا من الآراء الامر الذي ربما لا يتيسر للتاريخ الاتيان بهِ كقولنا « شهر » التي يستعملها كلٌّ منا باجلى وضوح ولا يخشى وقوع الالتباس حتى ان ابسط العامة لا يخطئون فهمها . على اننا اذا بحثنا عن اصلها نرى انها كانت تدل في الاصل على « قمر » اذ انها في السريانية « سهر » بالسين بمعنى قمر اما في العبرانية فتستعمل لما نعبر عنه بقولنا « مستدير » . وقد وردت في التوراة مرة على صيغة الجمع بمعنى اقمار صغيرة او اكاليل . وجملة القول يستدل مما تقدم ان اسلافنا الاولين كانوا يعتمدون على الاشهر القمرية في حساباتهم فدعوا الشهر القمري باسم القمر ثم لما تقدموا ووضعوا الاشهر الشمسية استعاروا لها ما كانوا يستعملونهُ للاشهر القمرية وترانا الآن لا نعلم عن لفظة « شهر » الا انها وضعت للدلالة على جزءٍ من اثني عشر جزءًا من السنة الشمسية وامثلة ذلك كثيرة في العربية

وخلاصة القول يكاد لا يوجد كلمة واحدة الاَّ واستعملت للدلالة المعنوية وذلك دليل كافٍ على ان قابلية المعاني للانتقال هي كقابلية الالفاظ للابدال

النتيجة

ان لغتنا مؤلفة اصلاً من اصول قليلة احادية المقطع
معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية
وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي
ينطق بها الانسان غريزياً

بناءً على ما تقدم برهانه من ان الالفاظ المتقاربة لفظاً ومعنىً هي تنوعات اصلٍ واحد . وان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في غيرها انما هي بقايا الفاظ ذات معنىً في نفسها . وان الالفاظ المانعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء الى اصول ثنائية تحاكي اصواتاً طبيعية . وان الالفاظ المطلقة قابلة الرد بالاستقراء الى لفظٍ واحد او بضعة الفاظ . وان ما يستعمل للدلالة المعنوية من الالفاظ وضع اصلاً للدلالة الحسية ثم حمل على المجاز لتشابه في الصور الذهنية ـ ارجح كل الترجيح « ان لغتنا مؤلفة اصـلاً من اصول قليلة احادية المقطع معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن الاصوات الطبيعية التي ينطق بهـا الانسان غريزيًّا » ومن هـذه الاصول نشأت ونمت حتى بلغت ما هي عليه الآن بتركبها وتنوعها بين نحتٍ وقلبٍ واستعارة سدًّا لاحتياجات الانسان وجرياً على ناموس الارتقاء العام . وايضاحاً للموضوع آتي المسألة عن طريق الاستقراء فاقول :

هل اللغة ضرورية توقيفية ام هي مكتسبة اصلاحية

كونها ضرورية يقتضي كونها حاصلة بلا اكتساب ونظر وكونها توقيقية يقتضي كونها ثابتة البناء والدلالة غير قابلة التغير والانفعال شأن كلما هو توقيف منه تعالى

والواقع خلاف ذلك فاننا لا ننطق الا بما نسمعه من الذين حولنا ونحن لا نتكلم بالعربية الاّ لاننا نشأنا بين قوم يتكلمونها . ولو اتفق اننا ربينا بين اليونانيين لكانت اليونانية لغتنا او بين الهنود فالهندية . ومن الجهة الاخرى لو قدّر لنا النشوء بين الحيوانات العجم لكنا عجماً . واللغة كما هو معلوم عرضة للتغيير والانفعال نحتاً وابدالاً وقلباً واستعارة فما نتفاهم به الآن يختلف دلالة ولفظاً عما تفاهم به آباؤنا وما سيتفاهم بهِ ابناؤنا . وقد حدث من اللغات ما لم يكن في سالف الزمن كاللغات المتفرعة من اللاتينية والسنسكريتية ـ فلو كانت اللغة توقيفية لاقتضى بقاؤها على ما هي . ولا يقال ان هذه الفروع حدثت توقيفاً لانها قابلة الرد بالاستقراء تاريخياً الى اول ازمنة نشوءها او بالحري تفرعها وكل ذلك جرى بموجب نواميس عامة قابضة على زمام كل ما حولنا من النظام والحياة واعمالها

وجملة القول ان اللغة مكتسبة اصطلاحية والقضية واضحة جلية . ولزيادة الايضاح اذكر ما قاله العلامة ابن خلدون في اثناء كلامه في تفسير الذوق قال « فان الملكات اذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت

كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة امر طبيعي ويقول كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك وانما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي انها جبلة وطبع . وهذه الملكة كما تقدم انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه »

وقال الاستاذ ابو اسحق الاسفرائني في أثناء كلامه عن اصل اللغة « ان ابتداء اللغة وقع بالاصطلاح والتتمة من الله » وقال السيوطي « ودليل امكان الاصطلاح ان يتولى واحدٌ او جمعٌ وضع الالفاظ لمعانٍ ثم يفهموها لغيرهم بالاشارة كحال الوالدات مع اطفالهن »

الطريقة الطبيعية للتكلم

(التفاهم)

فلنتصور الانسان في اول ادواره يطوف الحقول والغابات عارياً او نصف عارٍ يلتقط ثمر الارض وبقلها فاذا جنَّ الليل أوى الى كهف او مغارة او تسلق شجرة يلجأ اليها خوفاً من هجمات الوحوش الضارية فاذا اصبح خرج يسعى وراء رزقه يلتمسه بالاجتهاد . واجتهاده انما هو التفتيش عن شجرة ذات ثمر يأكله او حيوان يرميه بحجر فيقتله ويتناول لحمه لا يمتاز في ذلك عن الحيوان الاعجم . الا انه ما لبث ان اضطر الى الاجتماع وهي مزية خص بها الانسان . والسبب في ميله

الى الاجتماع قصوره عن مقاومة طوارئ الطبيعة ودفع غائلة الوحوش الضارية منفرداً فعكف على التعاون والتعاضد وهو الاجتماع . فلما اجتمع اضطر الى تبادل المعاني والمقاصد وهي الغاية المقصودة بالاجتماع فساقه ذلك الى التفاهم فتدرج فيه من الاشارات الى الاصوات فالالفاظ فالجمل كما سترى

فيظهر مما تقدم ان ضعفه هو الذي ساقه الى التكلم ورب معترض يقول ألعلَّ الضعف خاص ببني الانسان حتى اضطر وحده الى الاجتماع فترتب على اجتماعه نشوء اللغة والعمران . نقول ان بين انواع الحيوان انواعاً اكثر ضعفاً منه ولعلها اضطرت الى الاجتماع غير مرة ولكنها لم تستطع التكلم لقصورها الطبيعي عما امتاز به الانسان من المواهب الطبيعية جسداً وعقلاً مما يؤهله للنطق وتركيب الالفاظ وايضاح المعاني . على اننا لا نظن انواع الحيوان الاخرى خلواً من التفاهم بل هو واقع بين افراد النوع الواحد وبين الانواع المختلفة على اساليب وطرق لم ندركها تماماً اذ ليس من الضرورة ان يتم التفاهم بالتكلم فقط فقد يتفق ان يتوفق بعض انواع الحيوان الى وسيلة يتفاهم بها غير ما توفق اليه الآخر تبعاً لاستعداد كل منهما كأَن تتفاهم بحركات جلودها او بحركات آذانها او اذنابها او ما اشبه ذلك . فلأنواع الحيوان لغات تتفاهم بها ولكنها يجب ان تكون ادنى من لغة الانسان بنسبة انحطاط قواها العاقلة عن قواه

فالاضطرار الى الاجتماع اصاب كل انواع الحيوان ولكن

الانسان وحده فاز بغايته منه لاستعداده له ومقدرته على اختراع وسائل التفاهم عن طريق الصوت . ومما ساعده على ذلك في باديء الرأي لباقة حركات يديه وارتقاء اوتار صوته لانه قضى دهوراً يتفاهم بالاشارات وتقليد الاصوات

ولو تدبرت تاريخ اللغة لرأيت المبدأ في نشوئها وارتقائها راجعاً الى موهبة جعلها الخالق في الانسان وهي موهبة « التقليد » فالتقليد اساس اللغة واصل نشأتها ومدار ارتقائها . لان التفاهم سواء كان بالاشارات او بالاصوات فهو راجع الى التقليد لان الاشارات تقليد صور الاشياء او معانيها والاصوات تقليد ما يسمعه الانسان من الاصوات الخارجية على اختلاف مصادرها . فالتقليد قوة لم تبلغ في نوع من انواع الحيوان ما بلغته في الانسان وهو تمثيل صورة في ذهن المقلد اكتسبها من الخارج اما رأساً او ضمناً . ولا غنى له في تقليدها عن استيضاحها في ذهنه مع توفر الوسائل اللازمة لتمثيلها للآخرين . فالاستيضاح من اعمال العقل والتمثيل من اعمال اليدين او ما يقوم مقامهما . والانسان اقوى سائر انواع الحيوان عقلاً والبقها تركيباً وهذا هو سبب تفرده بسعة دائرة التفاهم وتعدد وسائله فتأيد اجتماعه وكان ماكان من تمدنه وعمرانه . فانشأ المدن والف الممالك والامم وتبحر في الخليقة فوضع الفلسفة واختلفت آراؤه في سرّ الخليقة وخالقها فتفرّقت المذاهب والاديان والطوائف والنحل وقامت الحروب فازداد الاحتياج الى الادوات والوسائل المساعدة على تسهيل

الغلبة وتأييد القوة فكانت الاختراعات وما جرى مجراها مما ليس هنا محل الكلام عليهِ . وانما يهمنا منهُ ان الانسان اضطرَّ الى الاجتماع لضعفهِ فاحتاج الى تبادل الافكار والمقاصد وهو التفاهم وتمكن بموهبة التقليد الى وضع أساس اللغة . ولاستيعاب الموضوع نقسم الكلام في تاريخ اللغة الى دورين (١) الدور التقليدي (٢) الدور النطقي

(١) الدور التقليدي

نريد بالدور التقليدي الزمن الذي عبَّر فيه الانسان عن مقاصده واغراضه بتقليد ظواهر الاشياء التي يريد التعبير عنها كالدلالة على شبح بتمثيل صفاته كلها أو بعضها . فالاخرس يعبر عن الفرس بمحاولة الوقوف على يديهِ ورجليهِ معاً تقليداً للفرس في مشيه . ومن هذا القبيل دلالة الاطفال على بعض أنواع الحيوان بتقليد اصواتها الخاصة بها . فاذا رأى الطفل كلباً وسمع نباحه ثم أراد التعبير عنه فانه يقلد صوت النباح أو الهر فيقلد صوت المواء أو الفرس فيقلد صوت الصهيل وهو انما عمد الى ذلك لجهله اسم كل منها . وهكذا كان الانسان في أوَّل ادوار وجوده فقد كان كالطفل المولود حديثاً في العالم يسمع ويرى ولا يتكلم . ولكن لكل من الموجودات المحيطة به صورة في ذهنه حصلت من حال اقتضت بقاءها في ذاكرته اذ قد يكون لكل شيء أو واقعة صورٌ كثيرة لا يبقى في الذهن منها الا صورة أو بضع صور سبق الذهن الى الاستمساك بها اما لغرابتها أو لملازمتها ذلك الشيء دون سواه أو لامتيازه بها على سواه من نوعه . فان للفرس مثلاً

أوصافاً كثيرة من الشكل واللون والوضع والصوت وما شاكل ذلك ولكننا عند محاولتنا التعبير عنه بالتقليد يسبق الى ذهننا صوت صهيله لانهُ خاص به . وللرجل مثلاً أوصاف كثيرة يعرف بها ولكن الخرس يعبرون عنهُ بمرور ابهام اليد وسبابتها على الشاربين . وللمرأة اوصاف كثيرة ايضاً ولكنهم يعبرون عنها بما تمتاز به عن الرجل اما بالاشارة الى طول الشعر أو بالدلالة على خلو وجهها منه أو غير ذلك

فينتج مما تقدم ان الدور التقليدي يقسم الى قسمين تقليد الاشكال وتقليد الاصوات فالاوَّل لغة الاشارات وهي لغة الذين لا يستطيعون التكلم لعلة طبيعية كالخرس فانهم يتفاهمون فيما بينهم وبين غير الخرس بالاشارات فقط . والثاني لغة الاصوات

﴿ التفاهم بالاشارات ﴾ والاشارات نوعان اضطرارية واختيارية فالاشارات الاضطرارية ليست خاصة بالانسان بل تشمل كثيراً من الحيوان ولكنها مقصورة على التعبير عن الانفعالات النفسانية كتقطب الوجه من الغضب أو الحزن والابتسام عند الارتياح أو السرور وهز الرأس للدلالة على التهديد أو التعجب وحنيه على الذل أو الخضوع وكدلالة النهوض بغتة على تأثر شديد من فرح أو غضب أو تعجب . ويروى عن المستر غلادستون خطيب انكلترا الشهير ان سامعيه كثيراً ما كانوا يقفون بغتة عند سماع خطبه وهم لا يشعرون وقد يسبب الفرح حركات أخرى كالجمز أو الرقص أو الركض وقد يصفق الانسان عند تأثر نفساني بغتي كسماع خبر محزن أو الانتباه بغتة الى خسارة وكالعض

على السبابة ندماً واحمرار الوجه خجلاً واصفراره وجلاً وكالارتجاف رعباً وغير ذلك من الاشارات التي يجريها الانسان عن غير قصد ولكل منها دلالة خاصة ولكنها قليلة لا تخرج عن حدود الظواهر النفسانية حال حدوثها وتزول بزوالها وهي ليست من التقليد في شيء على انها تساعد في لغة الاشارات اذا تقلدها الانسان للدلالة على ما تدل عليها من طبعها . فقد تعبر عن استنكافك من أمر بتقطيب وجهك كأنك تقول « اني لا أحب ذلك » فتقطيب الوجه اذ ذاك اشارة تقليدية اختيارية

أما الاشارات الاختيارية فهي التي يجريها الانسان عمداً يقلد بها شكلاً أو خاصة من خصائص الاجسام الخارجية للتعبير عنها تعبيراً تقليدياً محضاً كمن يرسم صورة الشيء على الورق للدلالة عليه . ولكن تلك الاشارات قد تتحول بالاستعمال والمزاولة من المعنى الحسي البسيط الى المعنى الرمزي . ولبيان ذلك نستلفت انتباه القارىء الى لغة الخرس الشائعة بينهم وقد يفهمها سواهم الا ما كان منها قد تحول الى معنى رمزي لا علاقة ظاهرة بينه وبين الاشارة

فلغة الاشارات وهي لغة الخرس تقسم الى اشارات ذاتية واشارات معنوية او رمزية . فالذاتية كالتعبير عن الشيء بتمثيل اوصافه باليدين فاذا شاء الاخرس التعبير عن الصندوق مثلا رسمه لك بيديه موضحاً طوله وعرضه وعلوه وللدلالة على كونه خشباً او حديداً يشير الى مادة خشبية او حديدية من ادوات المكان الواقف هو فيه .

وهذا هو الاصل في لغة الاشارات ولكن الطبيعة لا تقبل البقاء على حال واحدة وناموس الارتقاء العام متخلل سائر اعمال الحياة وهو يقضي بالنمو والتنوع والتفرع على اساليب شتى ترجع الى مبدإٍ واحد

فالاشارات الذاتية ما لبثت ان صارت معنوية او رمزية بمرور الايام على ان التقليد الذاتي قليل في لغة الاشارات والغالب في التعبير عن الاشباح الخارجية بالاشارة ان يكون بتمثيل صفة من صفاتها او حالة ملازمة لها كما لو اطبق الاخرس اصابع احدى يديهِ وادناها من فمهِ كأنهُ يصب ماءً فنفهم انهُ يريد « الماء » او « عطشان » او « اسقني » او « أشرب » اما التمييز بين هذه المعاني فموكول بالقرينة

فلغة الاشارات في هذه الحال لا تزال في ابسط احوالها بعضها تقليد ظواهر الاجسام او بعض احوالها وبعضها تقليد ظواهر الانفعالات النفسية وهي ما دامت على هذه الحال يفهمها كل انسان ولكنها قد تتحوَّل بالتنوع والتفرع الى لغة لا يفهما الا الذين يدرسونها مثل لغة التكلم . وقد يقع في اشكال الاشارات ومدلولاتها تغيير وتبديل يشبهُ القلب والابدال في لغة التكلم . من امثلة ذلك ان خرس برلين يقصدون بمحاولة كسر الرأس باليد ما هو في لغتنا (رجل فرنساوي) وصغارهم يستعملون هذه الاشارة لهذا المعنى وهم لا يعلمون الاَّ كونها كذا خلقت . وقد ظهر بعد البحث انها مأخوذة عن محاكاة حادثة موت لويس السادس عشر فالخرس قرأوا في كتبهم انه مات ضروباً على رأسه فاستعملوا في بادىء الامر اشارة الضرب على الرأس

كمحاولة كسره للدلالة عليه ِ ثم حملوها مجازاً على كل فرنساوي . وبعض قاطني اميركا الشمالية يعبرون عن قولنا « كلب » بجرّ السبابة والوسطى مفتوحتين على الارض وباقي الاصابع مقبوضة والناظر لا يرى علاقة بين هذه الاشارة والمعنى المقصود لكنهُ بعد البحث يرى انها مأخوذة عن حوادث جرت يوم كان الهنود هناك وقلّت خيلهم فاضطروا لاستخدام كلابهم لحمل اعمدة الخيم فكانوا يحملون كلاً منها عامودين واحداً من كل جانب فيمشي الكلب والعامودان يجرّان خلفهُ فقلّد الخرس هذه الحالة بجر السبابة والوسطى مفتوحتين على الارض وما بقي من الاصابع مقبوض وعبروا بها عن كلابهم . ولم يستخدم الهنود كلابهم لحمل اعمدة الخيم من ذلك الحين . اما هذه الاشارة فلم تزل مستعملة عندهم الى الآن للدلالة على اي كلب كان . وهكذا في كثير من اشاراتهم حتى تفرعت لغات الاشارات وحدثت بينها اختلافات لا تقل عمّا بين اللغات السامية . ولم تكن الاصطلاحات المشار اليها السبب الوحيد في ذلك بل هناك امر لا يقل اهمية عنهُ وهو الخلاف الاتفاقي في اختيار هذه الصفة من المعنى المقصود او تلك اذ قد تقدم انهم يعبرون عن اي معنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة رافقتهُ اوَّل عهدهم بهِ فقد تختار هذه القبيلة صفة وتلك صفة اخرى وقد يتأتى ان هذه تتصور معنى مصحوباً بحادثة لم تخطر على بال تلك . فان هنود اميركا الجنوبية يعبرون عن الماء بقبض كفهم وكبها نحو الارض كأنهم يسكبون ماء خلافاً لخرسنا الذين

يقبضونها الاَّ الابهام ويديرونها نحو الفم كأنهم يحاولون الشرب

ويعبر الخرس عن الضمائر وادوات العطف والجر وما يشبهها وعن حركات الاعراب بتقديم بعض الاشارات او تأخيرها او غير ذلك من الطرق التي لا تقع تحت الحصر

فترى مما تقدم ان للغة الاشارات ايضاً دورين احدهما تقليدي والآخر نطقي مثل لغة التكلم ولولا صعوبة التوسع في لغة الاشارات لامتناع التفاهم بها ليلاً مع مشقة استخدام اليدين في التكلم لشاعت وكانت هي لغة البشر وتفرعت الى لغات كثيرة مثل لغات النطق الآن . لان الانسان في اوَّل ادواره كان يتفاهم بالاشارات والاصوات التقليدية معاً وبتوالي الاجيال ارتقت لغة التكلم وتفرعت فبقيت وبادت لغة الاشارات ولم يبق منها الاَّ اثر عند الخرس الذين لا يستطيعون النطق . وطبيعي في الخليقة ان يبقى الانسب

﴿ التفاهم بالاصوات ﴾

(الاصوات الطبيعية) نريد بالاصوات الطبيعية الاصوات الجارية في الطبيعة وهي اما ان تحدث عن تفاعل القوى الطبيعية كاصوات الرعد وهبوب الريح وسقوط المطر وتصادم الاجسام الجامدة كالحجارة وغيرها . او ان تحدث عن العالم الحي كاصوات الحيوان على اختلاف انواعه كصهيل الفرس ونقيق الضفدع ومواء الهر وما شاكل ذلك

فتقسم الاصوات الطبيعية بهذا الاعتبار الى اصوات حية واصوات غير حية:

(فالاصوات الحية) تقسم الى اصوات الانسان واصوات الحيوانات الاخرى. واصوات الانسان اما اضطرارية او اختيارية فالاضطرارية هي التي يحدثها الانسان عن غير قصد او روية ويراد بها التعبير عن الانفعالات النفسانية وشأنها في ذلك شأن الاشارات الاضطرارية . وهي اما « عتمية » كالاصوات التي يخرجها الانسان عند الانفعالات النفسانية ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيح وهي اصوات المتوجعين والمغمومين. والهمهمة وهو الصوت الحاصل من تردد الزفير هماً او حزناً . والزحير او اخراج النفس بشدة عند عمل شاق . والنحيم او النهيم وهو شبه انين يخرجه العامل المكدود فيستريح اليه

وإما « مفصحة » وهي التي يخرجها الانسان عند الانفعال النفساني وقد تتميز فيها المقاطع كقولنا آه للتعجب أو التحسر وأوه للتوجع وأوف للاشمئزاز أو الضجر وآخ للانبساط وأر للغضب والتألم وبِش للاستحسان وِشه لعدم الاستحسان ووَي للتأوه وقهقه صوت الضحك وغير ذلك

والاصوات الاختيارية هي التي يخرجها الانسان أو غيره من الحيوان بقصد مثل تفْ حكاية صوت الباصق وأفْ حكاية صوت النفخ وهه حكاية صوت الزفير الاغتصابي وقس على ذلك أصوات

الصفير والتصفيق والنحنحة والغرغرة والسعال والعطاس والشخير والغطيط والجشاء وما شاكل ذلك

أما أصوات الحيوانات الأخرى فكثيرة جداً إذ لكل حيوان من ذوات الاصوات صوتاً يعرف به كمواء السنور وعواء الكلب وصرصرة البازي ونباح الكلب وصهيل الفرس وفحيح الافعى ونبيب التيس

أما (الاصوات غير الحية) فاكثر من أن يحصيها عدٌّ كطقطقة الحجارة وقعقعة الرحى وجعجعتها وطنطة الجرس ورش الماء ودويّ الرعد ومن هذا القبيل قطْ حكاية صوت القطع ولطْ حكاية صوت اللطم وفِش حكاية صوت السهم اذا رمي وفق حكاية صوت القربة اذا فتحت بغتة وغير ذلك مما لا يقع تحت الحصر. ومما نوجه ذهن القارئ اليه ان الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها ليست من المقاطع الواضحة في شيء ولكنها تؤثر في أذهاننا تأثيراً اذا أردنا التعبير عنه نطقنا بمقطع أو لفظٍ يشبهه وهذا ما نريد به حكاية الصوت

فمن حكاية الاصوات الطبيعية الحية وغير الحية على اختلاف مصادرها ومظاهرها اقتبس الانسان لغته فاتخذها أولاً بالتقليد للتعبير عما يحدثها أو ما يتعلق به وهذا ما نسميه اللغة الطبيعية ثم تنوعت وتفرعت بالنحت والابدال والقلب تبعاً لاحتياجات الانسان حتى صارت الى ما هي عليه بتوالي الاجيال

وكيفية تألف اللغة من الاصوات الطبيعية أن يقلد الانسان

تلك الاصوات أو ما يحاكيها للدلالة على الاشياء التي تحدثها كما لو أراد الدلالة على الكلب بتقليد صوت عوائه أو الاشارة الى الريح بتقليد صوت هبوبها أو اذا أراد قولنا قطع تقلد صوت القطع وهو قَطْ أو ما شاكل ذلك . وشأن الانسان في اوائل عمرانه شأن الطفل الرضيع فمراقبة نمو الطفل وكيفية تعبيره عن الظواهر المحيطة به قبل تعلمه لغة والديه أشبه شيء بحال الانسان في طفولية الارض فالطفل لو ترك لفطرته لدلَّ على كل حيوان بتقليد صوته وعلى كل اداة بما تحدثه من الصوت وقد يستعين بالاشارة وهو في الواقع يفعل ذلك الآن ولكنهُ لا يلبث أن يتعلم لغة من هم حوله ويتناسى لغتهُ الطبيعية

وقد يعسر التسليم بنشوء اللغة عن الاصوات الطبيعية وحدها لانها لا تكاد تذكر بالنسبة الى الفاظ اللغة واشتقاقاتها وأنواع تعبيرها مما يعد بمئات الالوف على حين أن الاصوات الطبيعية لا تكاد تزيد على المئة والجواب ان ذلك طبيعي جار في الطبيعة يتناول سائر الاجسام الحية وما يتعلق بها فكلها تنمو وترتقي وتتنوَّع وتتفرَّع وتتكاثر جرياً على ناموس الارتقاء العام . فقد رأيت في ما تقدم من تاريخ الانسان انهُ تدرَّج الى سائر حاجياته فارتقى من ابسط الادوات الى ما يتركب منها حتى صارت تعد بالمئات فكانت القطعة من الجلد مثلاً تقوم عنده مقام كثير من الثياب والاثاث فكان يتزر بها نهاراً ويلتحفها ليلاً ويستظل بها من حر الشمس أو يغلق بها باب كهفه وقد يحمل بها ما يحتاج الى نقله من الطعام أو غيره أو يغطي بها رأسه وقاية

من المطر أو حر الشمس وربما اتقى بها رمي الحجارة عليه وقد يستعين بها على أعمال أخرى كثيرة لا تحصى فهي تقوم عنده مقام اللباس والفراش والبيت والستارة وآنية الحمل والدرع والمظلة وغير ذلك

وهو انما توصل الى هذه الادوات الكثيرة بعد ذلك تدريجاً بالنمو الطبيعي وهكذا يقال في الفاظ اللغة فقد كانت اللفظة الواحدة أو المقطع الواحد يقوم مقام مئات من الالفاظ . من أمثلة ذلك أن الانسان رأى الماعز مثلاً وسمع صوتهُ فدلَّ عليه بحكاية صوته وهي مَعْ وهكذا يفعل الاطفال اليوم فانهم يدلون على الماعز بقولهم « مع » ولكنهم يدلون بها أيضاً على لحمه وعلى شعره وعلى أشياء أخرى يختلف تعيينها باختلاف الاحوال . والانسان في أوَّل فطرته سمع صوت القطع مثلاً فتقلده بمقطع « قَطْ » وجعل يدل به عما هو في لغتنا قطع أو كسر ولكنهُ كان يدل به أيضاً على كل ما يتعلق بالقطع مثل فعل القطع والمادة المقطوعة واليد التي قطعت والاحوال التي قطعت فيها وما شاكل ذلك

ثم أن كل مقطع من المقاطع الطبيعية يتحول بالنحت والابدال والقلب وبالنمو والتفرُّع والتنوُّع الى الفاظ كثيرة مشتركة في المعنى الاصلي فيخصص الانسان كل تفرُّع لفظي بتفرُّع معنوي على أساليب وطرق لا ضابط لها

ففي الدور التقليدي تقتصر اللغة على تقليد حكايات الاصوات الطبيعية على اختلاف مصادرها وهي اللغة الطبيعية الصوتية وهي قليلة

الالفاظ بسيطة البناء لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف ولا ظرف فيها ولا اشتقاق ولا تصريف فيسهل التفاهم بها بين سائر اصناف الناس على اختلاف المناطق والاقاليم كما هي الحال في لغة الاشارات الطبيعية . على أننا لا نعلم بوجود لغة على هذه الحالة مطلقاً ولكن بعضها أقرب من البعض الآخر اليها . وأدنى ما يعرف من لغات البشر لغة بعض سكان استراليا وأواسط اميركا الجنوبية فانها نظراً لقلة موادها لا تفي باغراضهم في التعبير عن كلما يحتاجون اليه على قلة احتياجاتهم فيضطرّون لاستعمال الاشارات فتراهم اذا تكلموا صوّتوا وأشاروا بأيديهم وأرجلهم وأعينهم . والاشارات قسم مهم من لغتهم لا يمكنهم الاستغناء عنه فهم لا يستطيعون التفاهم ليلاً . والفاظ لغتهم اقرب الى الاصوات الطبيعية منها الى الفاظ لغتنا

ومن قاطني اوستراليا ايضاً من لا تسعفهم لغتهم في التعبير عما وراء الاثنين من الاعداد بلفظ واحد اذ ليس لديهم من الالفاظ العددية الاّ كلمتان فقط وهما « نتات » واحد و « نايس » اثنان فاذا أرادوا ثلاثة جمعوهما معاً وقالوا « نايس نتات » أو اربعة « نايس نايس » أو خمسة « نايس نايس نتات » أو ستة « نايس نايس نايس » أما السبعة وما وراؤها فيقفون عندها مندهلين وتضيق دونهم سبل التصوُّر فيعبرون عنها بقولهم « كثير » . ومنهم من يعبرون عن كل تنوعات معنى القطع بكلمة واحدة . ومما يفيد في الاطلاع على كيفية تحول معاني الكلمات ما يعبر به بعضهم مما هو

من الغرابة بمكان فان منهم من ليس في لغتهم لفظة تؤدي معنى الصلابة فاذا اضطرّوا للتعبير عن قولنا « صلب » قالوا « حجر » وآخرون لا يقدرون تأدية معنى الطول والاستدارة فيعبرون عن قولنا « طويل » بقولهم « ساق » وعن « مستدير » بقولهم « مثل القمر » . ولا يخفى أن هذه الكلمات في غاية المناسبة لما وضعت له لان الحجر هو الجسم الاكثر شيوعاً بصفة الصلابة والساق أول ما يخطر للانسان تصوّر الطول فيها كما هو معلوم . واللغات في أول أمرها خالية من الادوات والحروف اذ يعوض عنها في بادئ الامر بالاشارات ثم يستعار لها الفاظ ذات معنى في نفسها

(٢) الدور النطقي

نريد بالدور النطقي حال اللغة بعد تحوّل الفاظها بالقلب والابدال والنحت من تقليد الاصوات، تقليداً بسيطاً الى الفاظ مستقلة يدل بها على المعاني دلالة صماء لا تظهر فيها صبغة التقليد كما هو حال اللغة الآن

وقد مرَّ على اللغة في انتقالها من الدور التقليدي الى النطقي دهور متطاولة لا يعرف مقدارها تدرجت فيها اللغة درجات متفاوتة لا يسعنا استيفاء شرحها في هذا المقام فنمر عليها مرور المسرع خوف التطويل فنقول

أول درجة تخطوها اللغة من التقليد البسيط الى النطق انما هي

تحوَّل حكاية الصوت من الدلالة على ما يحاكيهِ مباشرة الى ما يقرب منهُ او يماثلهُ بالتدريج حتى تتولد الالفاظ البسيطة الدالة على المعاني البسيطة بغير ان تتولد فيها الادوات والحروف او صيغ الاشتقاق ولا مميز فيها بين الاسم والفعل والحرف وانما يدل على ذلك بالقرينة فتستعمل اللفظة الواحدة تارة اسماً وطوراً فعلاً وأخرى نعتاً او أداة فالصينيون مثلاً يعبرون بقولهم (تُوان) عن معان عديدة تعود الى اصل واحد فيقصدون بها (كوَّر) او (احاط) او (مكوَّر) او (كرة) او (حول) الظرفية الى غير ذلك من امثال هذه المعاني ونظراً لقلة الفاظ اللغة في هذه الحالة يطلقون اللفظة الواحدة على معانٍ تقرب مِن معناها الاصلي كما هي الحال في اللغة الاكادية فان لفظة واحدة مؤلفة من مقطع واحد تدل على خمسة عشر معنى والاصل فيها جميعها واحد وهي لفظة ga او ca فانهم يقصدون بها (فم) او (وجه) او (عين) او (اذن) او (شكل) او (قدم) او (رجل) او (نظر) او (تكلم) او (مدينة) والاصل فيها وجه المدينة

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فيتولد فيها المميز بين الاسم والفعل مع خلوها من حروف الجر والعطف وسائر الادوات وصيغ الاشتقاق كما هو الحال في اللغة الصينية فالصينيون يعبرون عن حرف الجر « في » بقولهم « وسط » فيقولون مثلاً « كوشنغ » ومفادها حرفياً « مملكة وسط » ويقصدون بها ما هو في لغتنا « في المملكة » ولهم في

الباء السببية طريقة غريبة فهم يقولون « شاجن اي تنغ » مفادها حرفياً « قتل رجل استعمل عصا » ويقصدون بها « قتل الرجل بالعصا » ومن قاطني اواسط افريقيا قبائل تعرف بقبائل « مندنجو » اذا ارادوا تأدية معنى « على » قالوا « كنغ » اي عنق او « في » قالوا « كونو » اي بطن فيقولون لما هو في لغتنا « ضع الكتاب على الطاولة » مثلاً « ضع الكتاب طاولة عنق » وهكذا في « في » . وادوات الجمع والتأنيث والتذكير والصفة وما شاكل في اللغات الصينية هي في الغالب افعال او اسماء ذات معان مستقلة

ومن لغات بعض جزائر المحيط ما لا ادوات فيها لتمييز الجنس او الحال او العدد او الزمن او الشخص والمشهور من هذا النوع اللغة البولينية والقياس يقتضي ان لا يمر على هذه اللغات مدة من الزمن حتى لا يعود ممكناً تمييز اصل هذه الكلمات فيحسبونها كذا انزلت

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى فتتولد فيها بعض الادوات والحروف وتولدها انما يكون بتنوع الفاظها بالنحت على كرور الايام فتتحول الاسماء او الافعال الدالة على معنى في نفسها الى الحروف او الدالة على معنى في غيرها على طرق وأساليب لا يمكن حصرها . ولكنها تبقى مع ذلك خلواً من مميزات العدد او الجنس في افعالها كما هي الحال في اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفية) التي قد توفر فيها عدد كاف من الادوات والظروف لكنها تشارك المتقدم ذكرها بانها لا مميز للزمن

او الشخص في افعالها . والادوات التي تحسب ضرورية في الطائفة الآرية والطائفة السامية في تركيب الازمنة والمشتقات لا وجود لها مطلقاً في اللغة المصرية . والتصريف الفعلي يقوم فيها باضافة الضمائر الى الاصل المتضمن الحدث اضافة بسيطة بدون تغيير في اصلها او اشارة الى مقصد المتكلم والتمييز في ذلك كله موكول بالقرينة ولا وجود في لغتهم لما يسمونه عندنا مزيدات الافعال فالاصل هو الذي يقوم في التكلم مكان سائر تنوعات معناه . وتشاركها ايضاً باطلاق اللفظة الوحدة على الاسم او الفعل او الحرف فعندهم aa مثلاً تفيد قولنا عظيم فيختلف مؤداها باختلاف موقعها فتجيء بمعنى (جدًّا) او (عظيم) او (رجل عظيم)

ثم ترتقي اللغة درجة اخرى فتتولد فيها مميزات الجنس والعدد والاشتقاق كما ترى في اللغات السامية (الاّ العربية) فان فيها الاشتقاق ومميزات الجنس في الاسماء والنعوت واشباهها ولكننا نرى فيها نقصاً تشارك فيه اللغة المصرية القديمة كخلوها من صيغ التفضيل مثلاً فالصفة المشبهة في تلك اللغات تقوم مقام انواع التفضيل الثلاثة فيقولون مثلاً في الصفة المشبهة هذا حسنٌ وفي افعل التفضيل هذا حسنٌ من ذاك ويقصدون بها هذا احسن من ذاك . واذا ارادوا تفضيل الفرد على سائر افراد نوعه قالوا ما يماثل قولنا ملك الملوك ويقصدون بها قولنا اعظم الملوك او الاعظم بين الملوك

ثم ترتقي درجة أخرى فتتم فيها كل هذه المميزات مع خلوها من

حالات الاعراب وهذه هي حال اللغات الآرية الحديثة وتشمل أعظم لغات اوربا الحديثة ولا مميز فيها بين الرفع والنصب والجر وانما يقوم مقامها الحاق ادوات خاصة بذلك معظمها من حروف الجر او بتقديم الالفاظ وتأخيرها فالفرنساويون يقولون مثلاً le lion tue le tigre اي الاسد يقتل النمر واذا ارادوا العكس عكسوا ترتيب العبارة فقالوا le tigre tue le lion اي الاسد وفي الانكليزية the lion kills the tiger يقتل النمر و the tiger kills the lion النمر يقتل الاسد وهكذا في الاضافة وغيرها ومعلوم ان لغة عامتنا نظراً لاهمال حركات الاعراب قد أصبحت من هذا النوع

ثم ترتقي اللغة درجة أخرى وهي أرقى ما وصلت اليه اللغات حتى الآن فتتولد فيها مميزات الاعراب وهي حال اللغة العربية الفصحى واللغات اليونانية واللاتينية والالمانية فان تقديم الالفاظ وتأخيرها قلما يؤثران في المقصود من العبارة اذا حفظت حركات الاعراب في العربية الفصحى تقول قتل الاسدُ النمرَ وقتل النمرَ الاسدُ والاسدُ قتل النمرَ والاسدُ النمرَ قتل والنمرَ الاسدُ قتل (قتلهُ) والنمرَ قتل الاسدُ وجميعها تفيد ان الاسد القاتل والنمر المقتول واذا اردنا العكس لا نحتاج الاَّ الى تغيير حركات الاعراب كما لا يخفى

هذا ملخص ما يمكن ان تمرَّ عليه اللغة من الاحوال في الارتقاء من الدور التقليدي الى الدور النطقي في ارقى درجاته

وربما استغرب بعضهم ان لغة مثل اللغة العربية بما فيها من

الادوات والحروف وانواع الاشتقاق وأساليب التعبير وعدد الالفاظ ان يكون أصلها مقاطع قليلة هي حكايات الاصوات الطبيعية . ولكننا اذا امعنا النظر ودرسنا احوال اللغات على اختلاف درجاتها وراجعنا تاريخ الالفاظ التي أصابها تغيير وتبديل على عهدنا مع تفهمنا ناموس الارتقاء العام الذي جعله الخالق في الاجسام الحية وما يتعلق بها فلا نرى غرابة في ذلك . وفراراً من التطويل نورد بعض الامثلة تقريباً لذهن القارىء من هذا الموضوع فنقول

قد تقدم ان الهمهمة حكاية صوت الزفير الذي يخرجه الحزين فتولد منها على توالي الازمان فعل همَّ وما اشتق منه لفظاً ومعنىً (راجع القاموس) ومثل ذلك لفظ وَي وهي لفظ ينطق بها الانسان للتأوه من فطرته وقد تركب منها ومن لام الجرّ لفظ وَيل يدلون بها على التفجع او حلول الشر وقد صرّفوها وزادوا فيها فقالوا ويّل وتويّل وتوايل واستعملوها اسماً لوادٍ في جهنم وشقوا منها اسم مرة فقالوا ويلة ويقصدون بها فضيحة وركبوا من (وي) عدة كلمات منها وَيح ووَيب وربما كان اصلها (وَي أَب) للاستغاثة بهِ ووَيخ ربما من (وي أخ) ووَيس وويه وركبوا من (ويل) قولهم (ويلمه) بمعنى داهٍ فيقولون لمن عرف بالدهاء (ويلمّهِ) وهي منحوتة من وَيْ لامهِ او ويلٌ لأمهِ

وقد شق الانسان من حكاية صوت التوجع «آه» فعلاً فقال (آه يأوه أوهاً) اي شكا وتوجع وهكذا (تأوّه تأوهاً) وقد دعوا داء الحصبة (آهة) والجدري (مآهة) وكل ذلك لتناسب في المعنى واللفظ

وهذه التسمية تذكرنا بلغة الاشارات حيث يعبرون عن المعنى بتقليد صفة من صفاته او تشخيص حادثة ملازمة له فانهم بتسميتهم الحصبة (آهة) كأنهم يشخصون ما يرافق ذلك الداء من تأوُّه المريض . وقد شقوا أيضاً من (أوف) حكاية صوت الاستكراه قولهم (أفَّ يؤفُّ أفَّاً) تضجر ورجل (أفّاف) أي كثير الضجر و (أفف) بمعنى أفَّ وقد شقوا منها اسماء فدعوا قلامة الاظافر (أُفَّاً) وكذلك وسخ الاذن وما رفعته عن الارض من عود او قصبة ومنها أيضاً (الآفة) بمعنى الجبان والمعدم والمقل والرجل القذر ولا يخفى ان هذه المعاني تنوعات المعنى الاصلي الذي هو الضجر والاستكراه . وفي اللغة المصرية القديمة أمثال كثيرة كهذه منها قولهم (حو) بمعنى ضرب وهي صوت المضروب عند التألم وقولهم (آ) لما هو في لغتنا عظيم او كثير وقد تأتي ظرفاً بمعنى (جدًّا) و «حوو» عريان وهي صوت المنفعل من البرد عرياناً

ومثل ذلك حكاية صوت البصاق «تَفْ» فقد شقوا منها (تفلَ) اي بصق ولما كان الانسان يبصق احياناً استخفافاً بالامر شقوا منه فعلاً فقالوا (تفه) خسَّ او قلَّ ولما كان التفُّ أحياناً يحدث عن استكراه بعض الاطعمة استعملوا منه (التفاهة) في الطعام اي عدم الطعم فيقال (طعامٌ تفِهٌ) اي لا طعم له واذا كان التفُّ مستعملاً عند الغضب او الحدة شقوا منه (تفئَ) اي احتد او غضب واذ كان يسمع عند محاولة اطفاء اللهيب استعملوا تنوعه (طفيء) بمعنى خمد وقد

شقوا منهُ افعالاً واسماء لم تعد تتميز الآن لكثرة تنوعها . والظاهر ان الفاء هي الصوت المختص بالنفخ فاننا نخرج عند النفخ صوتاً هذه حكايته (أف) فتركب منها (ربما بالنحت) في العربية (نفخ) وفي الانكليزية (puff) وفي الفرنساوية (souffler) او (enfler) او (Gonfler) و بعض القبائل العريقة بالتوحش يعبرون عن النار بقولهم (أفي) حكاية صوت النفخ وكان المصريون يعبرون عن النار بقولهم (هه) وهي حكاية صوت الزفير الاغتصابي كأنهم قصدوا به اخراج النفس حاراً من الصدر ليدلوا بهِ على النار وعندهم « خخ » لما هو عندنا « بلعوم » فكأن الاصل فيهِ اخراج الصوت بعنف من مؤخر الحلق ليتنبه السامع الى المتكلم يقصد البلعوم المجاور لتلك الجهة وربما استعمل هذا الصوت في بادىء الامر مصحوباً باشارة استلفاتاً للذهن ثم استغني عن الاشارة . وفي العبرانية « آف » بمعنى أنف وهي حكاية صوت الزفير اذا خرج عن طريق الانف ولما كان الزفير الانفي يحصل غالباً عند الغضب الشديد استعملوا « آف » بمعنى غضب او سخط . وبعد استعمالها للدلالة على الانف اطلقوها على جميع الوجه . ثم ركبوها مع ادوات أخرى فصاغوا منها ظروفاً كقولهم « لأفي » امام او تجاه ولا يخفى ان « آف » و « أنف » من أصل واحد والنون دخيلة في العربية على ما نرى

وليست هذه الامثلة الاَّ نذراً يسيراً بالنسبة الى تنوعات الاصوات الخارجية غير الحية فان مقطع « قط » حكاية صوت القطع

قد تولد منه بالقلب والابدال والنحت تنوعات لا تعد ولا تحصى قد أشرنا الى شيء منها في ما تقدم : منها قصَّ وكسَّ وجذَّ وجزَّ وخصَّ وخدَّ وقدَّ وغيرها وكلها بمعنى قطّ او قطع . وكلٌّ من هذه التنوعات قد تولد منهُ بالنحت عدة الفاظ فمن « قط » تولد قطعَ وقطبَ وقطفَ وهذان الاخيران يتضمنان مع القطع معنى الجمع وقطمَ وقطلَ . ومن « قص » تولد قصم وقصل وقصب وقصر وهذه تتضمن معنى النقص وقصف وقصا وجميعها تتضمن معنى القطع . ومن «قض» قاض وقضم وقضب وقضع . ومن « كس » كسر وكسع وكسح وكسم . ومن « جذ » جذب وجذر وجذف وجذم . ومن « جز » جزأ وجزر وجزع وجزح وجزل وجزم . ومن « خزَّ » خزع وخزق وخزم وخزل . فترى معنى القطع واضحاً تماماً في جميع هذه التنوعات وقد تراه بعيداً في غيرها ومفقوداً في بعضها . فان « خصَّ » يفيد معنى الافراد بالشيء فترى معنى القطع فيها مجازياً فكأنه يقول خصَّهُ بالشيء أي قطعه عن سواه ومنها خصمَ بمعنى الخصام او الشقاق او الانقسام فظهر فيها معنى القطع ولكنهُ غير واضح وهكذا في خصم فانها لا تزال تتضمن معنى القطع وليس كذلك خضعَ وخضل . ومن « خد » خدع قال البيضاوي « الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيهِ من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب توارى في حجره » ولا يخفى ما يستلمح في هذا من معنى القطع . وخدر البنت ألزمها الخدر أي قطعها عن الاختلاط بالناس وخدفَ

ولا تزال تفيد القطع صريحاً . ويجانس خد « خذ » ومنها خذع قطع وكذلك خذعب وخذعل وخذل . أما خذل فقد أصبحت بمعنى خيب لكنك تراها عند التدقيق تفيد القطع أو الانقطاع لانهم يقولون خذلت الظبية اذا تخلفت عن صواحبها وانفردت أو انقطعت . ويجانس قص « قس » ومنها قسم وقسط فان هـذه الاخيرة وسائر الافعال المتعلقة بالاحكام العقلية ترد الى معنى القطع المعنوي كعدل وقضى وحكم وفصل وقسط وكذلك أفعال القسم كأقسم وحلفَ . ويجانس قس أيضاً « قش » ومنها قشر تتضمن مع القطع معنى النزع وكذلك قشط وقشع أما قشب فلا تدل على القطع أما قشبر المنحوتة منها فيستلمح فيها ذلك المعنى والظاهر ان قشب خسرت معنى القطع بالاستعمال والعامة في سوريا يقولون قشبت الشفة أي تشققت . وهناك تنوعات أخرى أغضينا عن ذكرها اكتفاء بما ذكرنا على سبيل المثال . ولا بدّ لنا من ذكر مثال للتنوعات التي تحصل بزيادة حرف في أوّل الاصل مثال ذلك نقض من قض ومقط من قط بمعنى الكسر . او في الوسط نحو قرص من قص وقرض من قضّ وقس عليهِ التنوعات الحاصلة بالقلب مما يضيق المقام عن استيفائه

ومن غريب الابدال ان تكون « يد » و « قط » او احـدى اخواتها من أصل واحد . ولا ننكر ما في ذلك من دواعي الاستغراب ولكن الدليل يقرب البعيد . فان القرب بينهما في المعنى واضح لان

اليد هي مصدر القطع وأوّل استماع الانسان حكاية صوت القطع انما كان بواسطتها فلا غرو اذا استعمل ذلك الصوت للدلالة عليها ونسبة اليد للقطع معنى كنسبة قاطع الى قطع ولا يخفى ما هنالك من المشابهة. وأما في اللفظ فاننا باستقراء أصل كلمة يد في اللغات السامية أخوات العربية نرى انها قريبة جدًّا من قط فانها في الاشورية «غت» وفي البابلية «كت» وهي حكاية صوت القطع بعينهِ

فترى ان تنوعات حكاية صوت القطع مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدًّا ولا يخفى أن كلاًّ من هذه التنوعات اصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً واذا أردت تحقق ذلك راجع كلاًّ من هذه المواد في مكانهِ من القاموس فترى ان لبعضها مئات من التنوعات المعنوية التي بعضها يرد الى معنى القطع وبعضها لا يرد لما حام حولهُ من اظلال المعاني الأخرى اما بالاستعمال او بتنوع المعاني نفسها او غير ذلك

وما قيل في «قط» يقال في غيرها من حكاية الاصوات فمن «هبّ» حكاية صوت اللهيب اذا نفختهُ الريح او هو ما نسمعهُ ممن يعمل عملاً يقتضي اجهاداً وقد تصوروا فيهِ معنى الهيجان لنا سلسلة هبجَ وهبذَ وهبشَ وهبصَ وهبا وسلسلة لهبَ ورهبَ وسلسلة هدبَ وهكذا. ولنا من «لت» حكاية صوت اللطم لتّ ولتبَ واتبجَ ولتخَ ولتد ولتذ ولتف ولتمَ. ويجانس لت «اطّ» ومنها لطأ ولطثَ ولطحَ ولطخَ ولطس ولطش ولطعَ ولطمَ ولطهَ وجميعها

تتضمن معنى الدق والشد ومنها سلسلة أخرى أولها لبط . وهكذا يقال في « فق » حكاية صوت القربة اذا انبثق منها الماء وتتضمن معنى الفتح ومنها فقّ وفقأ وفقح وفقر وفقص وفقش وفقع وقس عليه كثيراً من أمثالهِ

فهذه التنوعات مع ما فاتنا ذكره تفوق المئة عدًّا ولا يبرح من بال القارىء ان كلاً منها أصل لمشتقات وتنوعات جمة لفظاً ومعنى حقيقة ومجازاً . وايضاحاً لذلك نذكر مشتقات وتنوعات أحدها « قطعَ » ومعناها أصلاً أبان أو فصل فمنها : « قطعَ فلاناً عن حقه منعهُ . وأقطع الحدثُ الصلاة أبطلها . وفلان في القول جزمَ وقطع الطريق منعهُ وقطع النهر عبره . وقطع لسانه أي أعطاه احساناً حتى أسكته عن هجوه . وقطع فلانٌ الحبل اختنق وقطع الحوض ملأهُ الى نصفه ثم قطع عنه الماء وقطع عنق دابته باعها . وقطع الرجل او قطع لم يقدر على الكلام . وقطعت يده قطعاً وقطعةً وقُطعاً وقطاعاً بانت بقطع او بداء عرض لها . وقطع بفلانٍ مجهولاً عجز عن سفره او حيل بينه وبين ما يؤملهُ وقُطع فلانٌ يئس او عجز . قطعهُ قطعهُ شديداً أو بكثرة . قطعني الثوب كفاني التقطيع . يقال هذا الثوب يقطعك قميصاً . وقطع فرسه الخيل سبقها . وقطع الله عليه العذاب لونه وجزَّأه . وقطع الخمرَ بالماء مزجها . وقطع العروضي الشعر حلله الى أجزائه العروضية . قاطعه ضد واصله . وفلان فلاناً بسيفهما نظرا أيهما اقطع . وقاطع فلاناً على عمل ولاه اياه باجرةٍ معينة . واقطع الامام

الجند البلد جعل لهم غلته رزقاً . وقد دعوا اسم ذلك المكان الذي يقطع قطيعةً . واقطع فلاناً اخشاباً أذن له في قطعها . اقطعت الدجاجة أقفت . واقطع النخل اصرم . وماء الركية ذهب . واقطع القوم انقطعت عنهم مياه السماء . وفلاناً جاوز به نهراً . والرجل انقطعت حجته وبكتوه بالحق فلم يجب . والغريب عن أهله انقطع عنهم وباينهم . وتقطع الشيء مطاوع قطع . تقطعت الخمر امتزجت . وتقطعوا أمرهم بينهم تقسموه . وتقاطعا ضد تواصلا . وانقطع الشيء مطاوع قطع والسيف انكسر . وماء الركية ذهب . والغيث احتبس . والنهر جفَّ ، او حُبس . وانقطع بالمسافر على المجهول عطبت دابته او نفد زاده فانقطع به السفر دون طيه . فهو منقطع به . واقتطع من ماله قطعة أخذ منه شيئاً واستقطعهُ بلداً سأله أن يُقطعه اياها . القاطع اسم فاعل والحاجز والمقطع الذي يقطع به الثوب والاديم ونحوهما وقيل القاطع هو المثال الذي يقطع عليه وسيف قاطع أي ماضٍ . ولبن قاطع اي حامض . وبرهان قاطع أي يقطع الحجة أي مقنع . وقاطع الطريق اللص . العامة تقول قاطع النهر أي الشاطىء المقابل . ودواء قاطع أي ذهبت قوته . والطعام القاطع عند النصارى ما ليس من لحوم حيوانات البر ولا من البانها . والمنقطع عن تناول غير هـذا الطعام يقال له قاطع أيضاً . القاطعية عند التجار الكمية التي تفنى بالاستعمال من طعامٍ وبضاعةٍ ونحوهما . القطاع المقطع الذي يقطع به الثوب والاديم ونحوهما والدراهم . وزمن القطاع أي زمن صرام النخل . والقطاع مصدر وعند المهندسين يطلق على شيئين

أحدهما قُطاع الدائرة والثاني قطاع الكرة . القطاعة اللقمة وما سقط من القطع وطائفة تقطع من الشيء أو هي مختصة بالاديم . القطاعة عند النصارى الاقتصار على الطعام القاطع المذكور آنفاً . القطاع عند البنائين الذي يقطع حجارة البناء من الصخر . وآلته القطاعة . وحرفته القطاعة . والقطع ابانة بعض اجزاء الجسم فصلاً . وقطع اللص يراد به قطع يده . وقولهم ان الامر واقع قطعاً النصب فيه على المصدر أي اقطع به قطعاً بمعنى اجزم . او على الحال أي مقطوعاً بوقوعه . والقطع عند المتقدمين من القراء الوقف . والمتأخرون منهم فرقوا بينهما فقالوا القطع عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمناً يُتنفس فيه عادة بنية استئناف القراءة لا بنية الاعراض عنها . وهو عند العروضيين حذف آخر الوتد المجموع الواقع في عروض البيت أو ضربه واسكان المتحرك قبله كحذف النون من متفاعلن وتسكين اللام فيصير متفاعلْ ويُنقل الى فاعلاتن . ويسمى ذلك الجزء مقطوعاً . والقطع عند النحاة ترك التبعية والعدول الى خلافها كقراءة بعضهم الحمد لله الحميدُ برفع الحميد على انه خبرٌ لمبتدا محذوف أي هو الحميد ونصبه على انه مفعول به لفعل محذوف أي أعني الحميد . وعند أهل المعاني الفصل وهو ترك العطف . وذلك يكون بين الجمل لكون عطف الواحدة منها على الاخرى يوهم عطفها على غيرها مما ليس بمقصود عطفها . ويطلق القطع عند الحكماء على فصل الجسم بنفوذ جسم آخر فيه وعند الاصوليين على معنيين أحدهما نفي الاحتمال أصلاً . والثاني نفي الاحتمال الناشئ عن

دليل . وهمزة القطع عند الصرفيين التي تثبت لفظاً في الابتداء والدرج جميعاً . والقطع ما تقطع من الشجر ونصل صغير عريض وظلمة آخر الليل او القطعة منه او من أوله او من ثلثه والرديء من السهام والبساط او النمرقة او طنفسة يجعلها الراكب تحته وتغطي كتفي البعير . وثوب قِطعٌ وأقطاع أي مقطوع . القطع البهر وانقطاع النفس وجمع لاقطع والقطيع وأصابهم قُطعٌ او قِطعٌ بالكسر اي انقطع ماء بئرهم في القيظ . القطع القطعة من الليل . ورجل قطع أي هاجر رحمه وقاطعها وعاقها . القطعاء مؤنث الاقطع . ورحمٌ قطعاء لم توصل . القطعة الحصة من الشيء . وقطعة علم للانثى من القطا . القطعة عند المهندسين كالقطاع والقطعة من الشعر ماكان سبعة أبيات فما دون وقيل عشرة والقطعة بقية يد الاقطع . وموضع القطع . القطوع من النوق التي يسرع انقطاع لبنها . القطيع الطائفة من الغنم والنعم . وهو قطيع القيام أي منقطع القيام ضعفاً أو سمناً . وامرأة قطيع الكلام أي غير سليطة . وهو قطيعه او شبيهه في خلقه وقدّه . القطيعاء ضربٌ من التمر . القطيعة الهجران . الاقطع المقطوع اليد . وحمام اقطع اي في بطنه بياض . الانقطاع في المناظرة اختتام البحث بثبوت دعوى المستدل او دعوى المعترض . والتقطيع مغص في الامعاء « سموه تقطيعاً لان المصاب به يحس كأن امعاءه تتقطع »

المقطاع من لا يثبت على مواخاة . المقطع حرف مع حركة أو حرفان ثانيهما ساكن وقيل هي الحركة الاعرابية ويطلق المقطع أيضاً

على مخرج الحرف من الحلق أو اللسان أو الشفتين . مقطع الاسحار الارنب المقطعات من الشعر قصاره وأراجيزه . اه »[١]

هذه تنوعات فرع واحد من تفرعات « قط » فقس عليه ما بقي منها واجمع ترَ انها تفوق الآلاف عدًّا

ومعلوم ان هذه التنوعات لم تكن مقصودة عند أول استعمال قطع بل حدثت بعد ذلك تبعاً لاحتياجات البشر ووفقاً لما استدعته الاحوال الامر الذي لا ينفك ولن ينفك جارياً الى ماشاء الله فان كثيراً منها قد طرأ عليه بعد ان جمعت اللغة تنوّع اقتضته الاحوال وكثيراً منها أبطل استعماله والقي في زوايا الاهمال ولا يخفى على كاتب في اللغة ان كثيراً من المعاني المجازية للالفاظ قداهمل لدواع غير معروفة تماماً وكل يعلم ان الالفاظ على الدوام آخذة باكتساب معانٍ جديدة إما بين الكتاب للتعبير عن أفكار حديثة أو بين العامة جرياً على ناموس الارتقاء العام — فالعامة تقول « رجل مستور » ويقصدون بها أنه في درجة متوسطة من المعيشة . فلأول وهلة لا تشاهد علاقة بين اللفظ والمعنى اذ أن « مستور » مشتق من سترَ أي غطَّى لكننا نعلم انهم قصدوا بها بادىء بدءٍ ان هذا الرجل ليس فقيراً لدرجة تحمله على الاستعطاء أو الاستمرار على حالة تشهر أمره بل هو قادر على اكفاء عائلته بحيث لا يعلم الآخرون باحتياجهم فهم مستورون عن أعين القوم . وتصرفوا بها فقالوا « بدنا السترة » بمعنى لا نطلب من

(١) عن محيط المحيط ببعض اختصار

الاحتياجات الا سد العوز. وأمثال هذه كثيرة على السنة العامة يسمعها كلٌّ منا . ومما لا بد من ذكره ان هذا التنوع المعنوي يصحبه غالباً تنوع لفظي فهم يقولون (ضهر) بمعنى خرج وأصلها بلا ريب (ظهر) اذ ليس للاولى من أثر في كتب اللغة فانظر كيف انها تنوعت لفظاً ومعنى ولا يخفى ما هناك من النسبة بين معنى الظهور والخروج . ولم يكتفوا بذلك بل اطلقوا (ضهر) فصارت تفيد عندهم مفاد جملة فيقولون ضهر أو خرج ويريدون بذلك «خرج لقضاء حاجة نفسه»

وتستعمل العامة (صلاحية) للدلالة على أناء للطعام كالقصعة واذا بحثنا عن اصل هذه اللفظة نرى انها مبدلة من (صراحية) التي وضعت أصلاً للدلالة على الخمر الخالصة ثم استعملت مجازاً لآنية الخمر ثم اطلقت على اناء الطعام . وهناك سؤال آخر ما هي العلاقة بين هذه التسمية والخمر فنقول ان (صراحية) مشتقة من (صرُح) بمعنى صفا فاطلقت على الخمر الصافية ثم على آنيته ثم على آنية الطعام فتأمل

ولدينا من جملة افعال القتل قولهم (نيشنَ) والباحث يرى انها مأخوذة من نيشان وقد اكتسبت هذه الدلالة من وضع المجرمين أحياناً هدفاً للرصاص جزاء ما كسبت ايديهم والهدف يدعونهُ نيشاناً فقالوا نيشنهُ اي قتلهُ بجعلهِ هدفاً يرمى عليهِ رصاص البنادق . وأظن انهُ لا تمضي مدة حتى تطلق هذه اللفظة على اي نوع من القتل . ومن انواع القتل عندنا «شنقَ» وهذه كانت تدل قبلاً على العذاب وفي السريانية يقال (شنقَ) اي عذَّب فحمل معناها على القتل شنقاً

لانهُ من أشد ضروب العذاب وغير هذه الامثال كثير مما نشاهده ونسمعه كل يوم

فما المانع من حصول مثل هذه التنوعات الاعتيادية في اللغة قبل ان جمعت اذ كان يرافق التنوع المعنوي تنوع لفظي نخصوا كل تنوع معنوي بآخر لفظي فوصلت الينا الافعال كما نشاهدها

فالالفاظ الثنائية الاحادية المقطع هي الاصل في كل هذه التنوعات بدليل ان الاصول اللغوية في سائر اللغات احادية المقطع وان لم تكن جميعها ثنائية الاحرف . ففي اللغات الآرية لنا جذور قليلة العدد هي أصل لجميع المشتقات وهذه الجذور احادية المقطع على الاطلاق

منها : I اصل معنى الحركة البسيطة و ka الاضطجاع و ak الحركة السريعة و sta الوقوف و as او sad الجلوس و pad المشي و vas البقاء و sak الالحاق و vart العود و sarp السحف و pat الطيران (وعندي ان هـذه و pad المتقدم ذكرها من اصل واحد لتوافقهما في اللفظ والمعنى) و plu الفيضان و ad الاكل و pa الشرب و an النفخ الخ الخ . ومن هـذه الجذور تتولد كلمات عديدة لمعانٍ متنوعة ترد بالاستقراء الى معاني جذورها

وهكذا الحال في اللغات السامية اخوات العربية فان الاصول الفعلية والاسمية ساكنة الاواخر فيها على الاطلاق والمضاعف قليل الاعتبار لفظاً في تلك اللغات الاَّ حملاً على العربيـة وطلباً للتعليل

اعتماداً على كون الاصول المجردة جميعاً ثلاثية الاحرف على انهم لا ينطقون بالمضاعف الاَّ مقطعاً واحداً مخففاً مثالهُ في السريانية ܚܫ (حَشْ) (تألم) و ܟܣ (كسْ) (قصم) و ܙܠ (زَلْ) (نقص) و ܚܡ (حم) (حمي) و ܚܟ (حك) تلفظ (حخْ) (حكّ) و ܚܢ (حَنْ) (تحننَ) الخ وفي العبرانية גז (جزْ) جزّ و גר (جرْ) جرّ و דק (دقّ) و זך (زك) تلفظ (زخ) طهر ـ الى آخرهِ

فيرجح بقياس التمثيل ان اواخر الافعال كانت ساكنة أصلاً في العربية الاَّ ان اسلافنا قاطني البادية تفننوا فيهِ على طرق مختلفة. والامم يختلفون من جهة أواخر الكلم فمنهم من تنتهي الفاظ لغتهم بما ندعوه في لغتنا سكوناً ومن هؤلاء المتكلمون باللغات السامية الاّ العربية على ان من العرب انفسهم من يستثقلون الحركة في اواخر الالفاظ فلا ينطقون بها وهم قبائل مضر واكثر المتكلمين بالعربية لهذا العهد وهناك امم لا يرتاحون الاّ لتحريك الاواخر كعرب قريش وكالايطاليين والاسبانيين وكذلك كانت اللغة الهندية القديمة (السنسكريتية) ومن هذا القبيل أيضاً لغة البرابرة القاطنين في النوبة. ومن الغريب ان اللغة الاشورية يكاد لا يوجد فيها لفظ ساكن الاخر بل معظم الفاظها متحركة

وجملة القول ان من الامور الراجحة قياساً والجلية استقراءً ان لغتنا مؤلفة اصلاً من أصولٍ قليلة احادية المقطع ثنائية الاحرف في الاغلب معظمها مأخوذ عن محاكاة الاصوات الخارجية وبعضها عن

المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً وانه من هذه الاصول القليلة قد نشأت وارتقت بارتقاء افكار المتكلمين بها وتعددت الفاظها بتعدد احتياجاتهم وتنوعت طرق التعبير ومعاني الالفاظ بتنوع احوالهم وكل ذلك جرى على طرق اهمها أربع النحت والابدال والقلب والاستعارة وقد حصل معظم هـذا التفرع او التنوع واللغة العربية لا تزال في حجر أمها وبعبارة أخرى قبل افتراقها عن اخواتها السامية (العبرانية والسريانية وغيرهما) اي اذ كانت هي وهنَّ لغة واحدة

وهل يصعب علينا الاقتناع بذلك بعد ان شاهدنا عياناً ان من حكاية صوت واحد تولد ما فوق المئة من الاصول الفعلية الثلاثية ومن كلّ اصل تولدت تنوعات واشتقاقات معنوية ولفظية تبلغ المئة في البعض والخمسين في البعض الآخر. وقصارى الكلام ان من هذه اللفظة الثنائية الاحرف الاحادية المقطع تولدت افعال واسماء تفوق الآلاف عدًّا. ويؤيد ذلك ما تقدم شرحهُ عن الالفاظ المطلقة وكيف انها مع تعدادها ناشئة عن لفظ واحد او بضعة الفاظ

ولا يفوت القارىء اللبيب ان جميع هـذه التفرعات ومعظم تنوعاتها وسائر الادوات اللغوية وطرق الاشتقاق والتصريف قد بلغت معظم ارتقائها في ازمنة غاب عن معرفتنا حدها . اذ ان أقدم ما جاء بهِ التاريخ كأمس بالنسبة اليها ولا ريب لدينا انها بلغت ذلك المبلغ وهي لم تزل في حجر امها والمقابلة تثبت لنا ذلك جلياً

فلا نطمع اذاً باستطاعتنا تطبيق جميع الاصول اللغوية على أصوات

تحاكيها في الخارج ونحن لا نعلم عن منشإِ اللغات السامية شيئاً فاللغة السامية او الآرامية التي يريدون بها ام تلك اللغات ليست الاَّ لغة وهمية ظنَّ اللغويون اسبقيتها للغات السامية وعدُّوها أصلاً لها استدلالاً مما شاهدوه في الفاظها وطرق تعبيرها وقياساً على سواها

وهناك طريقة أخرى لوضع الصفات والنعوت وردت في « سر الليال » ويعبر عنها مؤلفهُ بحكاية الصفة وقد قال فيها ما نصهُ :

« أَما حكاية الصفة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صفة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والترخيم او الشدة والتفخيم كقولهم مثلاً (شيء منمنم) اي مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيس لفظة (مينيم) للشيء القليل الوجيز وشيء (ململم) اي مدور مضموم مجتمع وقولهم (خبخاب) لرخاوة الشيء المضطرب والعامة تقول (مخبخب) للسمين المضطرب وكقولهم (امرأة رجراجة) اي يترجرج عليها لحمها وربما التبست هنا حكاية الصفة بحكاية الصوت وكقول العامة (مربرب) للسمين المكتنز وهو في لغة الانكليز (بلمب) بفتح اللام وسكون الميم وكقولهم (المهفهف) للممشوق البدن و(النع) للرجل الضعيف والعامة تقول (منعنع) للَّطيف المترفه وكقول الترك (نازك) ونحو (السلسل) للماء العذب او البارد و(السلس) للسهل اللين و (السلسبيل) اللين الذي لا خشونة فيهِ و (الوسوسة) لحديث النفس و (الهمس) للصوت الخفي و (الداح) نقش يلوح للصبيان يعللون بهِ والعامة تقول (دح) وهي في لغة

الانكليز (دال) و (الحاد) لما يلذع اللسان و (الهجنع) الطويل الضخم ورجل (عكوك) أي قصير ملزز و (خفنجل) و (خفنشل) اي ثقيل سمج و (مهبج) اي ثقيل النفس وضخم و (مقرقم) لمن لا يشب و (مزكزك) لمن يمر ويقارب خطوه و (زونك) لمن يمشي ويحرك منكبيه وناقة (زيزفون) اي سريعة و (كز) اي يابس متقبض وشيء (تافه) لما ليس له طعم و (جهم) للوجه الغليظ المجتمع و (هلقق) للقدم الضخم و (جهضم) للضخم الهامة و (حفنجي وخفنجي) للرجل الرخو لا خير عنده و (خجوجي) للطويل الرجلين ويلحق به نحو بزَّهُ اي غلبه وبش بهِ وهشَّ وماس وترنح وطال وفرَّ ولزَّ وتقزَّز وقس على ذلك » اه .

اختراع الكتابة

(١) الطريقة الطبيعية لاختراعها

خلق الله الانسان بين عاملين هما أصل الاختراع والاكتشاف أولهما الضرورة التي تسوقه الى البحث وثانيهما النور الطبيعي الذي يدله على أسرار الطبيعة ويهديه الى ما يساعده في حفظ ذاته ودوام نوعه . ولو تتبعت سائر اختراعات الناس من النار التي لم يدرك التاريخ زمن اختراعها الى أشعة الراديوم التي سمعنا بها بالامس لرأيت الدافع اليها كلها الضرورة على حد قولهم « الحاجة أم الاختراع »

فقضى الانسان قروناً متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ولكنه لا يكتب فما لبث أن تكاثر وتآلف واتسعت علاقاته وعكف على الاسفار التماساً للرزق حتى اضطر الى الكتابة لمخابرة جاره أو تدوين حوادث أمسهِ أو تقييد ملاحظاتهِ وآثاره

فلنفرض قبيلةً من قبائل البشر في أول عهد العمران يقتات أفرادها على الاعشاب واقتناص الحيوان ويأوون الى الكهوف والمغر ألم بها مصاب همها أمره فاحبت تدوينه نحو ان أسداً وثب على شيخها فافترسهُ فما ظنك في الطريقة التي يخترعونها لتدوين تلك الحادثة . لا أخالك ترى وسيلة غير التصوير اما بالرسم او بالنقش على ما تقتضيه حالهم من الصناعة فيرسمون اسداً واثباً على رجل ينهشه

بمخالبه او نحو ذلك . وهي اول خطوة يخطوها الانسان نحو الكتابة ونسميها « الدور الصوَري الذاتي » وهو ابسط ادوارها لانهُ قاصر على تصوير الحادثة كما وقعت تماماً ولا فائدة منهُ الا في الحوادث المؤلفة مما يقبل التصوير . ولكن هناك معاني لا صورة لها في الخارج كالحب والبغض وكذلك اليوم والغد والصباح والمساء فضلاً عن المعاني الكلية فهذه كلها يضطر فيها الى الرموز فقد يرمز عن المحبة مثلا بالحمامة وعن البغض بالحية وعن اليوم برسم الشمس في أعلى دائرة . فلنفرض أناساً جاؤا تلك القبيلة بحراً وبعد مسيرهم ثلاثة أيام نزلوا الشاطىء ليلا وكان شيخ القبيلة غائباً فأراد ابنه او احد أتباعه ابلاغه ذلك كتابة فلا نظنهُ بعد اعمال فكرتهِ يهتدي الى طريقة يصور بها تلك الحادثة على غير هذه الصورة :

فيعبر عن العدوّ

برسم رجل مسلح

ويريد بالنقط الكثيرة



ان الاعداء عديدون وبصورة السفينة انهم نزلوا البحر وبالقوس وفي أعلاها الدائرة وهما خط الهاجرة والشمس في أعلاه يريد اليوم وبالخطوط الثلاثة انهم ساروا في البحر ثلاثة ايام وبالشجرة البر وبالقوس وفيه رسم الهلال وشيء يشبه النجوم ان الاعداء نزلوا الشاطىء ليلاً

وهذه خطوة ثانية نحو الكتابة وفيها صوَر رمزية فضلاً عن الذاتية ونسميها « الدور الصوَري الرمزي » ويمكن التعبير بها عن أكثر حاجيات الانسان

ثم لا يلبثون بتوالي الأجيال ان يهتدوا الى اتخاذ صورة الشيء للدلالة على اول مقطع من اسمه كاستخدام صورة العدو للدلالة على أول مقطع من (عَدوّ) وهو العين مفتوحة واستخدام رسم السفينة للدلالة على السين مفتوحة والشجرة على الشين مفتوحة وقس عليه وهو أهم خطوة في اختراع الكتابة لان بها تتحول الاشكال الصوَرية من الدلالة على أسمائها كاملة الى الدلالة على أول مقطع من مقاطعها وهو نسميه بالدور المقطعي

ولكن في رسم صور الحيوان والنبات وغيرهما مشقة تحول دون انتشار هذه الكتابة وتداولها . على ان يد الانسان ميالة الى التنويع التماساً للسرعة واقتصاداً في الوقت فلا يلبث رسم الرجل المسلح المتقدم ذكره ان يتحول الى شكل يشبهه ثم يبعد الشبه كثيراً حتى لا يعرف لذلك الشكل شبه مع بقاء دلالته الاصلية . فلا يعرف الناس الا ان ذلك الشكل يدل على العدو أو على مقطع « عا » ولا يرون علاقة بينهما

ثم لا يلبث الانسان ان يهتدي الى اختراع الحركات فبدلاً من ان يدل الشكل الواحد على المقطع الواحد وهو حرف وحركة معاً يدل على الحرف فقط ويخترع له علامة تدل على الحركة او ما يقوم

مقامها فالشكل الذي كان يدل على العين مفتوحة يدل على العين بدون حركة وهكذا في ما بقي . فبدلاً من أن يكون الشكل الدال على مقطع (عا) مثلاً محصوراً في الكلمات الداخلة فيها العين مفتوحة أو مكسورة يُستعمل للدلالة على العين مطلقاً ويعبر عن الفتح أو الضم أو الكسر بعلامة تضاف اليها وفي ذلك من التسهيل والاقتصاد ما لا يخفى . وهذا هو الدور الهجائي

فالادوار التي تمرُّ بها الكتابة قبل وصولها الى نحو ما هي عليه الآن أربعة :

(١) الدور الصوَري الذاتي وتدل الصور فيه على المعاني الذاتية وهو قاصر لا يمكن التعبير به الا عن أبسط الحوادث

(٢) الدور الصوري الرمزي وفيه فضلاً عن الصور الذاتية صوَر رمزية تدل على المعاني المعنوية التي لا صورة لها في الخارج وفي هذا الدور يمكن التعبير عن اكثر ما يمرُّ بذهن الانسان من المعاني على اختلاف أنواعها ولكن يقتضي لذلك مئات بل ألوف من الصوَر وفيه من المشقة ما فيه

(٣) الدور المقطعي وتدل الصورة فيه على أول مقطع من اسمها وهو خطوة كبرى في اختراع الكتابة فبين ان اللغة في الدور السابق لا يتم التعبير عن معانيها الا بألوف من الصوَر يكفيها في هذا الدور بضع مئات فقط

(٤) الدور الهجائي وفيه تصبح تلك المقاطع حروفاً وهو آخر خطوة بلغت اليها الكتابة حتى الآن فانك ببضع عشرات من هذه الحروف تعبر عن كل الفاظ اللغة مهما تعددت وتنوَّعت

(٢) تاريخ الاقلام التي استعملها الناس حتى الآن

علمت مما تقدم الطريقة التي يمكن ان تتدرَّج الكتابة فيها من أبسط أحوالها الى مثل ما هي عليه الآن فلنتقدم الى تأييد ذلك بما وقع فعلاً من تاريخ الخطوط التي استخدمها البشر منذ أول عهدهم بالعمران حتى بلغت ما هي عليه اليوم

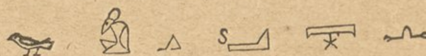
والاقلام التي استخدمها الانسان من اول ازمانه الى الآن تعدُّ بالمئات ولكن معظمها مهمل ولسهولة البحث فيها نقسمها الى قسمين كبيرين هما : (١) الاقلام الاصلية (٢) الاقلام الفرعية

﴿ الاقلام الاصلية ﴾ نريد بالاقلام الاصلية ما توصل اليه الانسان من تلقاء نفسه على الاسلوب الطبيعي كما رأيت في « الطريقة الطبيعية لاختراع الكتابة »

ومن هذا النوع الاقلام التي استخدمتها الامم المتمدنة قديماً وقد عرفنا منها أربعة وهي الهيروغليفي والاسفيني والحثي والصيني فهذه الاقلام نشأ كلٌّ منها على حدة وتدرَّج مع الدور الصوَري الذاتي الى الدور المقطعي ولكنها وقفت بين الدورين الثاني والثالث أي انها في الغالب مزيج من الدور الصوري الرمزي والدور المقطعي

﴿ الاقلام الفرعية ﴾ وهي ما تفرع من الاقلام الاصلية

وفيها كثير من الخطوط المستعملة والمهملة من قديم وحديث ولبيان ذلك نقول :

(١) ﴿ القلم الهيروغليفي ﴾ هو أهم الاقلام الاصلية ومنه تفرعت اكثر الخطوط المشهورة في العالم على ما يظن وقد وصل الينا وهو في حال الانتقال من الدور الصوَري الرمزي الى الدور المقطعي أي ان بعض صوره تدل على معان ذاتية وبعضها على معان رمزية و بعضها يدل على مقاطع . فمثال الدلالة الذاتية دلالة صورة الشيء على لفظه وهو متشابه في كل الخطوط الاصلية . وأما الصوَر الرمزية فلكل أمة اصطلاح مخصوص . ومن أمثلة الصور الرمزية عند المصريين  فالصورة الاولى منها تدل على السلب أو الضياع والثانية صورة نجمة معلقة تدل على الظلام والثالثة ذراع مبسوطة قابضة بكفها على عصا وتدل على القوة والرابعة ساقان ماشيتان للدلالة على الحركة والخامسة رجل يده في فيه للاشارة الى أي عمل من أعمال الفم كالتكلم والطعام والشراب والسادسة صورة طير صغير يرمزون به عن الشر . وأما الصوَر المقطعية عندهم فهاك مثالها مع نطقها وتفسيرها وتقرأ من اليسار الى اليمين



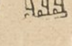
سرهينا حر تو حمس حر تو أن أُن

شاروهن لـ حاصـــــــرنا نحن لما

فبقي المصريون أزماناً متطاولة يكتبون بهذا القلم وتفرع منه قلمان استخدموهما معه وهما الهيراتي والديموطيقي فكانوا يستخدمون الاقلام الثلاثة معاً . على ان الهيروغليفي كان محصوراً في الكهنة والمظنون انه ما زال مستخدماً الى القرن الثالث للميلاد . أما الهيراتي فهو عبارة عن الصور الهيروغليفية وقد تشوهت هيآتها التماساً للعجلة والديموطيقي أحدثها وهو أقرب الى الحروف الهجائية . وما زالت هذه الاقلام شائعة بمصر حتى استبدلها الاقباط بالحروف اليونانية القديمة واستعاروا بعض الحروف الديموطيقية للدلالة على مقاطع قبطية لا مثال لها في اليونانية

قلنا ان القلم الهيروغليفي أصل اكثر الخطوط المشهورة والارجح ان الفضل في نقل هذه الخطوط وتفريقها في العالم راجع الى الفينيقيين سكان سواحل سوريا في أقدم أزمنة التاريخ فانهم عاصروا الفراعنة القدماء وهم اول من سلك البحار وجاب الامصار للاتجار والاستعمار قبل الميلاد بقرون فاستخرجوا الحروف الهجائية من القلم الهيروغليفي ونقلوها الى سائر انحاء العالم فعلموها لليونان والكلدان واليهود وغيرهم قبل المسيح بقرون ومنها تفرعت الخطوط المستعملة في سائر انحاء العالم المتمدن الآن

أما توصل الفينيقيين الى تلك الحروف فكان بالاقتباس والتحسين وليس بالاختراع وانما كانوا يردون مصر للتجارة فاضطروا في معاملة المصريين وغيرهم الى استخدام الكتابة وأخذوا بعض الصور

الهيروغليفية او الهيراتية كما كانت تستعمل عند المصريين وتصرفوا في رسمها لسهولة استعمالها فاجتمع عندهم منها على توالي الايام ٢٢ شكلاً استخدموا كلاًّ منها لمقطع أو حرف من حروف لغتهم وسموه باسم يدل على شكله . فكان رسم الثور  مثلاً عند المصريين مستعملا للدلالة على الثور وهو في لغتهم (آوا) فرسم الفينيقيون شكلاً يشبه رأس الثور وجعلوه للدلالة على مقطع الالف وسموه « ألف » ومعناها في الفينيقية (ثور) . واتخذوا شكلاً مربعاً يشبه البيت  ويدل عند المصريين على البيت واسمه عندهم (با) فرسموا شكلاً يقاربه ودلوا به على مقطع الباء وسموه « بيث » أي بيت . واتخذوا رسماً آخر يشبه رأس الجمل  واستخدموه لحرف الجيم وسموه (جيمل) أي جمل وهكذا في الشين المسننة فان في الهيروغليف يقابلها هذه الصورة  وهي رسم أشجار مغروسة وقس عليه سائر الحروف . فكانوا يقتبسون الحرف فيقتضبونه ويسمونه باسم يدل على شكله حتى استوفوا كل المقاطع الموجودة في لغتهم وتكوَّنت الابجدية الفينيقية واسماء حروفها تدل على اشكالها كما ترى في الجدول في الصفحة التالية

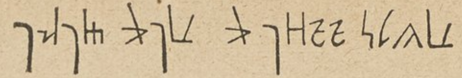
فالفينيقيون نقلوا هذه الابجدية الى بلاد اليونان نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد وهو القلم اليوناني القديم ونقلوها الى ما بين النهرين فعلموها للاشوريين وهو القلم الكلداني القديم او الآرامي وكان الاشوريون يكتبون بالقلم الاسفيني فأهملوه واستخدموا الحرف الفينيقي لسهولة استعماله . ومن القلم اليوناني تفرَّعت الاقلام الرومانية

الحروف العربية	الحروف الفينيقية	الحروف اليونانية القديمة	الحروف السامرية	أسماؤها بالفينيقية	معانيها	أسماؤها بالعربية	أسماؤها باليونانية
ا	𐤀	Α	ࠀ	الف	ثور	الف	ألفا
ب ﺑ	𐤁	Β	ࠁ	بيث	بيت	باء	ڤيتا
ج ﺟ	𐤂	Γ	ࠂ	جيمل	جمل	جيم	جملا
د	𐤃	Δ	ࠃ	دالث	باب	دال	دلتا
ه ﻫ ﻪ	𐤄	Ε	ࠄ	ه	؟	هاء	اي
و	𐤅	Ϝ	ࠅ	واو	دبوس	واو	أو
ز	𐤆	Ι	ࠆ	زين	سلاح	زاي	؟
ح ﺣ	𐤇	Η	ࠇ	حيث	حيط	حاء	ايطا
ط	𐤈	Θ	ࠈ	طيط	حية	طاء	ثيطا
ي ﻳ	𐤉	Ι	ࠉ	يود	يد	ياء	يوطا
ك ﻛ	𐤊	Κ	ࠊ	كاف	كف	كاف	كبّا
ل ﻟ	𐤋	Λ	ࠋ	لامذ	مساس	لام	لامذا
م ﻣ	𐤌	Μ	ࠌ	ميم	مياه	ميم	مي
ن ﻧ	𐤍	Ν	ࠍ	نون	سمك	نون	ني
س ﺳ	𐤎	Ξ	ࠎ	سامك	دعامة	سين	سغما
ع ﻋ	𐤏	Ο	ࠏ	عين	عين	عين	؟
ف ﻓ	𐤐	Π	ࠐ	فا	فم	فاء	في
ص ﺻ	𐤑	Ϻ	ࠑ	صادي	سناره	صاد	زيتا
ق ﻗ	𐤒	Ϙ	ࠒ	قوف	اذن	قاف	—
ر	𐤓	Ρ	ࠓ	ريش	راس	راء	رو
ش ﺷ	𐤔	Σ	ࠔ	شين	سن	شين	—
ت ة ﺔ	𐤕	Τ	ࠕ	تاو	علامة	تاء	تاو

والغوطية واليوناني الحديث والسلافي ومنها تولدت الاقلام التي تكتب بها لغات اوربا واميركا وغيرها . وتفرَّع عن اليوناني أيضاً القلم القبطي كما تقدم واقلام أخرى أهملت وهي التريجاني والليسياني والاتروسكاني والكارياني . ومن القلم الآرامي تولدت كل الخطوط الشرقية وفي جملتها العبراني المربع والسطرنجيلي والنبطي والهندي ومن السطرنجيلي تفرَّع السرياني والكوفي ومن النبطي تفرَّع الخط العربي النسخي الذي نكتب به نحن الآن ومن الهندي تفرَّعت خطوط الهند . وتفرَّع من الفينيقي رأساً ايضاً الحرف العبراني القديم . والقبرسي والقرطجني وتفرَّع من العبراني القديم الحرف السامري وكلها مهملة . وفي الجدول بالصفحة المقابلة صور الحروف الفينيقية واليونانية القديمة والسامرية وبازائها ما يقابلها من الحروف العربية وترى المشابهة بين الفينيقي واليوناني القديم واضحة وكذلك بين هذا وسائر فروعه . أما الآرامي وهو أصل الخطوط الشرقية فقد كان في اوَّل امره نفس الحرف الفينيقي ثم أخذ يتنوَّع ويبتعد عنه وأول ما لاحظوه فيه من التفرُّع انفراج أعلى الحروف ذات الزوايا وانحلال الزوايا والتفاف الحروف على نفسها وهاك مثالاً يدل على ذلك



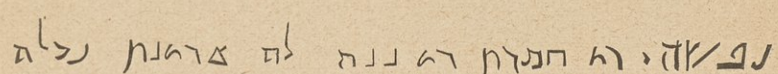
ميتبا زي قرب معنن بر عمرن



لصلم الها لحي نفشه

أي « العرش الذي قدمه معنان بن عمران للاله صلم لاجل حياة نفسه » فان رؤس الباء والعين والراء قد انفرجت حتى صارت مائلة الى التربيع على ان الشكل الفينيقي لا يزال ظاهراً فيها

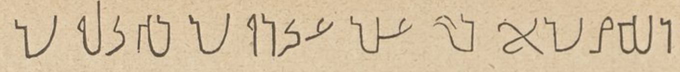
ثم انتشر الخط الآرامي في جهات اسيا وأخذ يتنوّع عند كل أمة باختلاف أحوالها فتولدت منه الفروع المتقدم ذكرها ويهمنا منها الحرف النبطي لانه أصل الخط العربي النسخي . وقد دعوه نبطياً لانه كان مستعملاً عند النبطيين أو الانباط في مدن بصرى (أسكي شام) وحبرون وصلخد (سرخد) في حوران وغيرها وقد عثروا على شيء من هذه الكتابة في تلك الجهات فوجدوا انها على نوعين مختلفين أحدهما أقرب الى الكتابة الآرامية وهي الاقدم وهاك مثاله نقلاً عن آثار بعض جهات حوران بقرب السويدية



نفشه دى حمرت دى بنه له ادينه بعله

أي « تمثال حمرت الذي بناه له سيده ادينه »

والآخر أقرب الى الخط العربي المعروف وقد عثر الباحثون على كتابة من هذا النوع منقوشة على حجر وقد تلاحمت حروفها نوعاً وذلك أول اتصال الحروف العربية بعضها ببعض وهاك مثالها

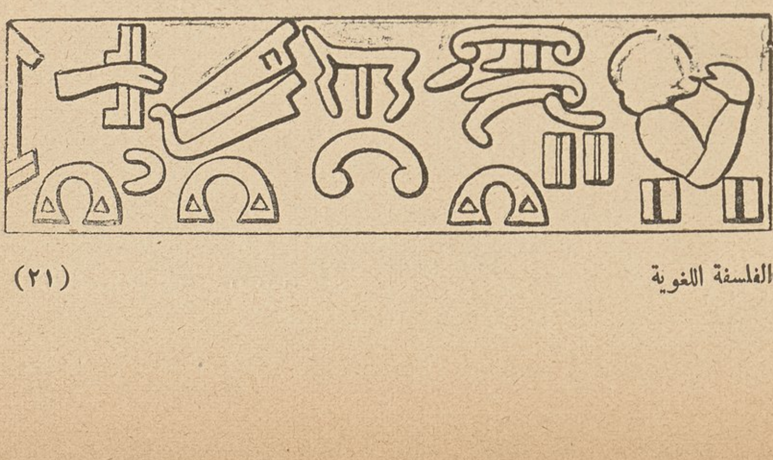


دنح قـبرا دى عبد عيدو بن كهيلو بن

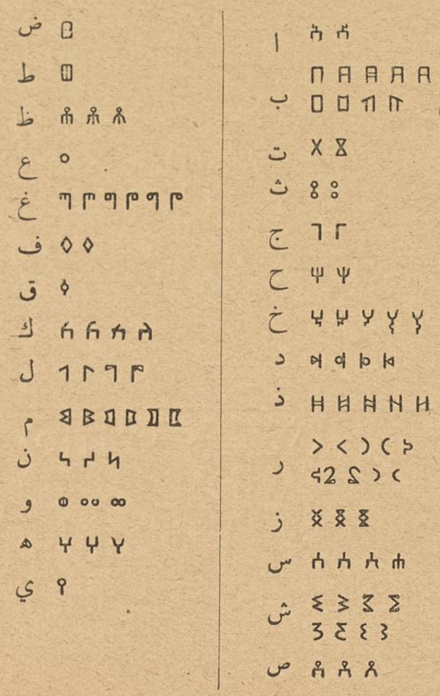
أي « هذا هو القبر الذي صنعه عيدو بن كهيلو بن . . الخ »

والكتابة المشار اليها تشير الى القبر الذي اصطنعه عيدو بن كهيلو ابن القصي لنفسه وأولاده وذريته وقد استنتجوا من نص الحكاية انها كتبت ما بين السنة التاسعة ق . م . والخامسة والسبعين بعده

(٢) « القلم الحثي » الحثيون أمة قديمة عمرت سوريا واسيا الصغرى في أوائل التمدن القديم فعاصرت الفراعنة القدماء وحاربتهم وحاربت الاشوريين وغيرهم وقد بادت وانقطعت أخبارها قبل الميلاد بأجيال . ولكن علماء الآثار عثروا في القرن الماضي على كتابة منقوشة على أحجار عليها كتابة صورية كالكتابة الهيروغليفية وقد تمكنوا من حل بعضها فوجدوا انها كتابة أصلية مستقلة عن القلم الهيروغليفي . وهاك صورة بعض ما وجدوه على حجر في حارة الدهان بحماة (سوريا)



فيريدون بصورة اليد في الفم الدلالة على التكلم . والمربعان تحتها يدلان على مقطع (ما) والشكل الذي يشبه نعال الفرس ومنه ثلاثة أشكال من أسفل يدل على مقطع (إس) ويراد به الدلالة على الفاعلية وقس على ذلك باقي الدلالات مما لم يقفوا على تمام حله بعد . والظاهر ان القلم الحثي قلما ولد اولاداً او لعله ولد اولاداً نسوه لان الخطين الحميري والحبشي في اعتبارنا متخلفان عن الحثي لمشابهة بينهما و بينه وخصوصاً ان العلماء كانوا في ريب من أمر هذين الخطين فلم يعثروا لهما على أصل يرجعان اليه فالقلم الحثي اقرب سائر الخطوط اليهما على ما نرى . وهاك صورة الخط الحميري



وهاك مثالاً للخط الحبشي :

እግዚአብሔር : እንደሁ : ዓለሙን : ወድዋልና:

فترى بينه وبين الحميري مشابهة كلية الاَّ ان الحبشي يكتب من اليسار الى اليمين . فالحرف الاول من اليسار (الف) وهي كثيرة الشبه بالالف الحميرية والحرف الثاني (جيم) والثالث (زاي) وهو كالذال الحميرية تماماً وقس عليه

(٣) « القلم الاسفيني » وهو القلم الذي كان الاشوريون والبابليون يستخدمونه قبل وصول الحروف الفينيقية اليهم وتسمى كتابتهم بالاسفينية او المسمارية لمشابهتها بالمسامير او الاسافين وهي من قبيل الدور الصوَري الرمزي مع شيء من المقطعي ومن أمثالها قولهم (كالو)  ومعناها (احرق) ومعظم اطلال بابل واشور في العراق تغشاه هذه الكتابة نقشاً على حجارة طينية كانوا يطبعون الاحرف بأدوات تشبه الاسافين او المسامير على الطين النيء ثم يتركونه ليجف بخلاف المصريين القدماء فانهم كانوا ينقشون كتابتهم على الحجر . وقد يتبادر الى الذهن لأول وهلة ان هذه الكتابة ليست من الصوَرية في شيء ولكن بالتأمل يتضح انها متخلفة عن كتابة صوَرية سابقة لها لاننا بالرجوع الى اقدم انواعها نراها تقرب من الاشكال والرسوم . ولا نعرف قلماً تفرَّع عن الاسفيني

(٤) ﴿ القلم الصيني ﴾ والكتابة الصينية قديمة وأشكالها تدل على الفاظ كاملة كما أنها أقدم انواع الكتابة ولذلك فان اشكالها تعد بالمئات والالوف ولكن لا يظهر عليها انها صورية على اننا لو تأملنا لرأيناها متخلفة عن أصول صورية تغيرت بمرور الاعوام فترى في هـذا الرسم 因 甚 子 凡 古 امثلة من الكتابة الصينية ولدى التأمل يظهر لك انهـا تشبه رسوماً حقيقية . وللغـات الصينية انواع كثيرة من الحروف ترجع كلها الى اصل واحد صوري فقـد بتوالي الاجيال . وحكمنا على اللغات الصينية مسند بالأكثر الى قياس التمثيل

وفي الصفحة التالية جدول بينّا فيه تفرع الاقلام القديمة والحديثة من اصولها

(انظر الجدول في الصفحة المقابلة)

﴿ جدول تفرُّع الأقلام الفرعية عن الأقلام الأصلية ﴾

- الهيروغليف المصري
  - الحرف الفينيقي
    - اليوناني القديم
      - الرُّوماني وبه تكتب معظم لغات أوربا وأميركا
      - الغوطي « « لغات جرمانيا
      - اليوناني الحديث « « بلاد اليونان
      - القبطي « « اللغة القبطية
      - السلافي « « لغات روسيا
      - الفريجياني (مهمل)
      - الليسياني «
      - الاتروسكاني «
      - الكارياني «
    - الارامي
      - الهندي على انواعه
      - العبراني المربع وتكتب به اللغة العبرانية
      - السطرنجيلي
        - السرياني
        - الكوفي
      - النبطي ومنه العربي النسخي المشهور
      - التدمري (مهمل).
    - العبراني القديم ومنه السامري (وكلاهما مهمل)
    - القبرسي (مهمل)
    - القرطجني «
- الحثي
  - الحميري
  - الحبشي وتكتب به لغة الحبش
- الاشوري
  - الاسفيني
- الصيني
  - الاقلام الصينية واليابانية

العدُّ والارقام

كيف تعلم الانسان العدّ واخترع الارقام

﴿ استنباط العدّ ﴾ العدُّ بالارقام قديم جـدًّا وقد احتاج الانسان الى العدّ قبل احتياجه الى التكلم فقضى اجيالاً عديدة قبل ان تولدت اللغة وهو يعدُّ بالاشارات . وأساس العدد عنده الاصابع ولا يزال اثر ذلك باقياً الى اليوم . فان الخرس حتى في أعرق الامم في المدنية يعدُّون على أصابعهم . وفي لغات الامم المتوحشة الفاظٌ تؤيد هذا القول فان أهل الزولوس اذا أرادوا التعبير عن الستة قالوا « تاتيسيتوبا » وتفسيرها في لسانهم « أخذ الابهام » ومعنى ذلك ان الحاسب عدَّ أصابع احدى يديه وضم اليها الابهام من اليد الاخرى ولهذا السبب أصبح لفظ اليد والقدم والانسان أعداداً في كثير من اللغات. فان بعض قبائل الهنود على ضفاف نهر اورينوكو بأميركا الجنوبية يعبرون عن الخمسة بقولهم « اليد كلها » وعن الستة بقولهم « واحد من اليد الاخرى » وهكذا الى العشرة فيقولون « اليدان » ويعبرون عن الاحد عشر بقولهم « واحد الى القدم » ثم « اثنان الى القـدم » وهكذا الى الخمسة عشر فيقولون « كل القدم » ثم « واحد الى القدم الاخرى » ويتدرجون على هـذه الكيفية الى العشرين فيقولون « انسان » ثم يقولون « واحد الى أيدي الرَّجل الآخر » أي واحد

وعشرون . ولا يزالون على نحو ما تقـدم الى الاربعين فيقولون « رَجلان »

فاذا علمت ذلك هان عليك تعليل السبب في اتخاذ العشرة أساساً للعدّ لانها مجموع أصابع اليدين . والظاهر ان أجدادنا جعلوا قاعدة العدد اولاً الخمسة لانها أصابع يد واحدة ثم جعلوها العشرة لسبب لا نعلمه . فان زنوج السنيغال في غربي افريقيا لا يزال أساس العـدد عندهم الخمسة فاذا عدوا الى الخمسة وأرادوا ما بعـدها قالوا « خمسة واحد . خمسة اثنين . خمسة ثلاثة . الخ » كما تقول نحن « احد عشر . اثنا عشر . ثلاثة عشر . الخ » ولا يزال اثر هذا النمط من العـدد محفوظاً في الارقام الرومانية التي كان الرومانيون يستخدمونها قبل استخدام الارقام الهندية كما سيأتي

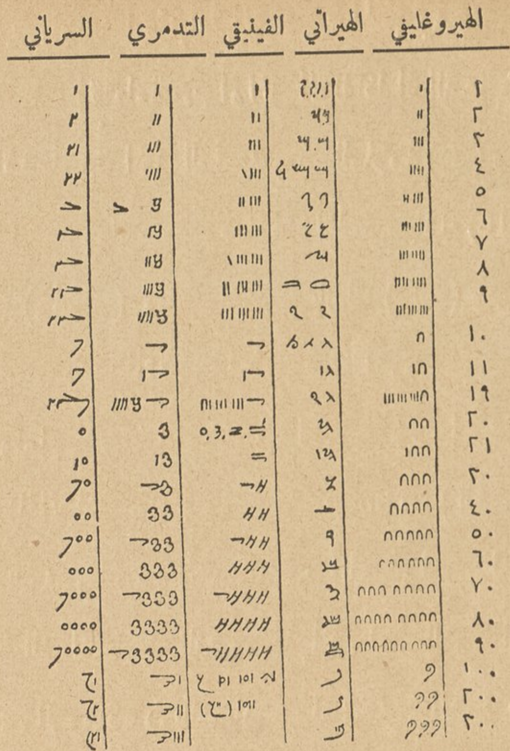
على ان بعض الامم يجعلون أساس العدد العشرين . ومن هـذا القبيل تعبير الانكليز عن الثمانين بقولهم Fourscore أي أربعـة عشرينات . وقول الفرنساويين لهـذا المعنى Quatre-vingt . فيقول الانكليز Fourscore and three والفرنساويون يقولون Quatre-vingt trois أي ثلاثة وثمانون . ويدل ذلك على ان بعض قبائل الجرمان القدماء كانوا يعدّون بالعشرين وهي مجموع أصابع اليدين والرجلين . على ان الجمهور يعدون بالعشرات وعليها وضعت الارقام

﴿ الارقام ﴾ أما وضع العلامات للدلالة على الاعـداد فانه طبيعيّ وقد تدرج الى ما نسميه بالارقام . و بديهيّ ان الانسان لما

أراد في أول الكتابة ان يدوّن الاعداد عبر عن الواحد بخط أو نقطة أو عقدةٍ أو فرض في عودٍ فاذا أراد الاثنين ضاعفها كما يفعل بعض هنود اميركا الى اليوم وهكذا كانت تفعل الامم التي تمدنت قديماً وربما ظل الانسان أجيالاً لا يعدُّ بغير هـذه العلامات ولو تجاوز العشرة او المئة . ثم رأى في ذلك مشقة وتشويشاً لانه اذا أراد التعبير عن المئة مثلاً رسم مئـة خط أو نقطة أو عقدَ بالخيط مئة عقـدة أو فرض في العود مئة فرضة . فدلته الحاجة الى اختراع كفاهُ مؤونة هذه المشقة . فوضع علامة للخمسة وأخرى للعشرة ومثلها للخمسين والمئة والالف . فاذا أراد التعبير عن خمسة عشر مثلاً رسم العشرة والخمسة بجانبها أو الثلاثين رسم ثلاث عشرات او ٣٥ رسم ثلاث عشرات وخمسة . على ان بعض الامم خالفت البعض الآخر في ذلك فلم تضع علامة للخمسة ولا للخمسين بل دلوا على الاولى بخمسة آحاد وعلى الثانية بخمس عشرات — كذلك فعلت الامم التي تمدنت قديماً في مصر وفينيقية وتدمر كما يؤخذ من آثارهم الباقية

وترى في الشكل الآتي صور الارقام عنـد المصريين القـدماء وبجانبها الارقام الهيراتية المتخلفة عنها ثم الارقام الفينيقية وتليها التدمرية ثم السريانية القديمة وقد تدرجت فيها تدريجاً

فتري الارقام الهيروغليفيـة أبسطها كلها لانها قاصرة على مضاعفة الواحد والعشرة والمئة تليها الارقام الفينيقية وفيها علامة خاصة بالعشرين ثم التدمرية وفيها علامة للخمسة وأخرى للعشرين .



(ش ١) الارقام القديمة

ثم السريانيـة القديمة وفيهـا علامة للاثنين وأخرى للخمسة ومثلها للعشرين فضلاً عن علامات للواحد والعشرة والمئـة . فالسريانية خطت الخطوة الاولى نحو الارقام الهنـدية باتخاذ علامة خصوصية للاثنين . ولا يدل ذلك على ان الهندية مشتقة منها او مرتقية عنها اذ يتفق أن يقع ذلك على سبيل التوارد

وظل الانسان قروناً عديدة بعد ان تمدَّن وهو يحسب ويعدُّ قبل اختراع الارقام الخصوصية للآحاد اي ١٢٣٤٥٦٧٨٩٠ المعبر عنها

بالارقام الهندية . وبعد استنباط الاحرف الهجائية استعاضوا عن تلك العلامات بأحرف مقتطعة من أوائل الالفاظ الدالة على تلك الاعداد . فاليونانيون القدماء دلُّوا على الواحد بهذه العلامة (I) وهي خط بسيط يشير الى الوحدة من طبيعته . ودلوا على الخمسة بالپاء (Π) وهي مقتطعة من (Πεντε) (خمسة) وعلى العشرة بالدلتا (Δ) وهي مقتطعة من (Δεκα) عشرة وعلى المئة بهذا الحرف H وهو غير مقتطع من اسم المئة عندهم ولعل لاستخدامه سبباً آخر . ودلوا على الالف بأوَّل حرف من لفظ الالف عندهم وهو X من Χιλιοι (الف) والمظنون ان اليونانيين استخدموا هذه الاعداد من أيام صولون ولكنهم ينسبونها الى هيروديان الغراماطيقي الذي وصفها في آخر القرن الثاني للميلاد

واقتدى الرومانيون باليونان في استخدام الاحرف بدل الارقام على نحو ما تقدم وان كانت لا ترد كلها الى الفاظ تدل على قيمتها . فالارقام الرومانية هي I (١) و V (٥) و X (١٠) و L (خمسين) و C (١٠٠) و D (٥٠٠) و M (١٠٠٠) وهي لا تزال شائعة عند أمم أوربا الى اليوم يستخدمونها في بعض الاحوال

ويقال نحو ذلك في استخدام الابجدية في اللغات السامية بدلاً من الارقام . وكان الاصل في استخدامها ان يدلوا بالحرف على موضعه من الابجدية باعتبار عدد ما قبله . فالاحرف العبرانية مثلاً ٢٢ حرفاً فكان الحرف الأخير (التاء) يقوم مقام ٢٢ ثم تفننوا بجعل الاحرف التسعة الاولى تنوب عن الآحاد التسعة والحرف العاشر وما بعده

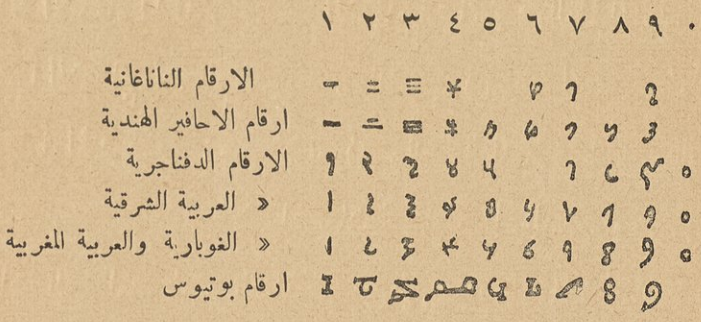
تدلُّ على العقود . ومن الحرف التاسع عشر الى ٢٢ على المئات فكان اكبر عدد يعبرون عنه بها ٤٠٠ وهو التاء . وأما العرب فعندهم ستة أحرف زائدة فصارت الابجدية ٢٨ حرفاً آخرها قيمته العددية الف وهاك الابجدية العربية وقيمة كل منها وهو ما يعبرون عنه بحساب الجمل على هذه الصورة :

ا	ب	ج	د	ه	و	ز	ح	ط	ي	ك
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	٢٠
ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق	ر	ش	ت
٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠
ث	خ	ذ	ض	ظ	غ					
٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠					

﴿ الارقام الهندية ﴾ هي الارقام الشائعة في العالم المتمدن الآن ويسميها الافرنج الارقام العربية . والسبب في ذلك ان هذه الحروف استنبطها الهنود في زمن لا نعرفه والصفة المميزة لها « الصفر » وتخصيص كل عدد من الآحاد بعلامة خاصة الى التسعة وتحويل هذه الآحاد الى العشرات باضافة صفر الى جانبها والى المئات باضافة صفرين والى الالوف بثلاثة اصفار الى ما لا نهاية لهُ . وهي مبنية على مبدأ اقتصادي لانها قاصرة على عشر علامات يعبر بها عن أي مبلغ يمكن ان يتصوره العقل مما لا يتأتى بالابجدية ولا بغيرها

والظاهر ان العرب أخذوا هذه الارقام عن الهنود في جملة

ما أخذوه عنهم من العلوم الرياضية كالتنجيم والهيأة ونحوهما في أواسط القرن الثاني للهجرة . ويظن بعض المحققين انها نقلت مع زيج حمله بعض أهل الهند الى بغداد سنة ٧٧٣ م . وأول من شرحها من المسلمين ابو جعفر محمد الخوارزمي في القرن التاسع للميلاد ثم شاعت بين المسلمين في دواوينهم ومؤلفاتهم حتى اذا احتك بهم الافرنج في القرن الثاني عشر باسبانيا واخذوا عنهم الحساب من كتاب ينسب الى الخوارزمي المذكور فسموه باسمه . ويظن رينو المستشرق الفرنساوي الشهير ان لفظ Algorism الافرنجية منحوتة من الخوارزمي [١] وهي أثر لفضل العرب على الافرنج في الحساب وكذلك Zero الافرنجية فانها منحوتة من « صفر » العربية . وشاعت الارقام الهندية في أوربا وسماها الافرنج أرقاماً عربية لأنهم اخذها عن العرب



(ش ٢) الارقام الهندية

وفي الشكل الثاني أمثلة من الارقام الهندية القديمة وكيف تدرجت حتى وصلت الى ما كانت عليه حينما أخذها العرب وكيف

(١) والواو في خوارزم تكتب ولا تلفظ

تنوعت عندهم . وهي في كل حال تختلف عن الارقام الشائعة اليوم عندنا وعند الافرنج ولكن يظهر للمتأمل مع ذلك انها من أصل واحد

فالارقام الناناغاتية (ش ٢) كانت مستخدمة عند الهنود في القرن الثاني قبل الميلاد وتشبهها ارقام الاحافير الهندية وكلاهما قريب من الارقام القديمة البسيطة . اما الارقام الدفناجرية فانها تمتاز عن السابقتين بوجود الصفر فضلاً عن اتمام تولد الارقام التسعة الاخرى . وأقدم ما عثروا عليه من هذه الارقام مكتوبٌ في نحو القرن الثامن للميلاد . ويلي ذلك الارقام العربية القديمة ويسمونها الشرقية وهي منقولة عن أصل مكتوب في القرن العاشر للميلاد في شيراز وتختلف عن أرقام هذه الايام ولكنها كثيرة الشبه بها . وكانت تختلف عن الارقام التي كان يستخدمها العرب في الاندلس وغيرها من بلاد المغرب كما ترى في الارقام الغوبارية (ش ٢) وهي التي كانت تستعمل في بلاد المغرب وأخذها الافرنج في القرن الثاني عشر والشبه بينها وبين الارقام الافرنجية الشائعة اليوم ظاهرٌ

اما بوتيوس فهو من فلاسفة الرومانيين في القرن الخامس للميلاد وينسبون اليه الارقام المرسومة في السطر الاخير (ش ٢) . وكان الافرنج يستخدمونها في اوربا حوالي القرن الخامس للميلاد ثم ضاعت قبل الفتح الاسلامي ولذلك زعم بعض الافرنج ان الارقام الهندية (او العربية) التي ظهرت في القرن الثاني عشر في اوربا ليست مما نقله العرب اليهم وانما هي عبارة عن احياء أرقام بوتيوس - قالوا ولعل

المسلمين في المغرب اقتبسوا هذه الارقام عن الافرنج ثم عاد الافرنج فأخذوها عنهم - على ان مزاعمهم في هذا الشأن لا تزال ضعيفة ولا يزال جمهور مؤرخيهم مجمعين على ان الارقام الشائعة في اوربا الآن منقولة عن العرب وهؤلاء نقلوها عن الهنود

﴿ تم الكتاب ﴾

فهرست الفصول

﴿ تم الفهرست ﴾